البحث الثامن والثلاثون

مآخذ أرتور شاده على سيبويه فى محاضرة:
(علم الأصوات عند سيبويه وعندنا)
عرضاً وتقويماً

إعداد

د / أحمد عبد الرحيم أحمد فراج

مدرس فى قسم أصول اللغة بالكلية

لجنة التحكيم

أ.د / حسن حسين فرغلى عضو اللجنة المحكمة

أ.د / عبد الفتاح عبد العليم البركاوى عضو اللجنة المحكمة

مُقَدِّمَة

أحمد الله تعالى ، وأستعينه ، وأستهديه ، وأصلي وأسلم على الرسول الأعظم . والنبي الأكرم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الدراسة الصوتية عند العرب عميقة الجذور ، راسخة القواعد ، واضحة المبادئ والمعالم ، وقد توصل علماء اللغة العرب القدامى في مجال الدراسة الصوتية إلى نتائج أثارت إعجاب المحدثين من علماء اللغة ، واعترف المستشرقون منهم بالريادة للعرب في هذا المجال ، فقد سبق اللغويون العرب الغربيين في وضع أسس وقواعد الدراسة الصوتية ، " ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما : أهل الهند يعني البراهمة والعرب " (١)

ومن أوائل من قام بوضع اللبنات الأولى لهذا العلم عبقرى اللغة العربية أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنْبر المعروف بـ(سيبَويه) (٢)، فقد أرسى دعائم علم الأصوات ، وألمح إلى بعض البحوث الصوتية التي لم يكن لها وجود سابق قبل وضع مؤلفه الشهير (الكتاب) ، وما زالت

---

(١) التطور النحوى للغة العربية للمستشرق الألماني براجشتراسر ص ١١ ، ترجمة د / رمضان عبد التواب ، ط / مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م .

(٢) بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح الباء الموحدة ، وسكون الياء الثانية ، وبعدها هاء ساكنة ، هكذا يضبط عند أهل العربية .

ينظر : معجم مقيدات ابن خلكان ، د / عبد السلام محمد هارون ص ١٧٥ ، ط / مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م . وعند غير العرب يضبط بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها ، يقول كارل بروكلمان : "أصل الاسم (سيبويه) بضم الباء، وإشباع الواو ، وفتح الياء " تاريخ الأدب العربي ٢ / ١٣٤ ، ترجمة د / عبد الحليم النجار ، ط / دار المعارف بمصر .=

= وقد أشار شاده إلى هذا الضبط ، وزعم أنه الأصح فقال : " أعني أبا بشر عمرا الحارثي المعروف بـ (سيبويه) ، أو على الأصح (سيبُوَيه) " محاضرة شاده : " علم الأصوات عند سيبويه وعندنا " ، العدد الخامس ، سنة ١٩٣١ م .

القواعد الصوتية التى وضعها سيبويه فى هذا المؤلف تحظى باحترام وتقدير الباحثين والدارسين من العرب ومن غيرهم .

ومن الباحثين الغربيين الذين يكنون قدرًا كبيرًا من الاحترام والتقدير لسيبويه المستشرق الألمانى (أرتور شاده) ، فقد وضع مؤلفًا كاملاً لبيان الدراسة الصوتية عند سيبويه ، وسماه: (علم الأصوات عند سيبويه) ، وكان ذلك سنة ١٩١١ م .

A . schade : sibawaihi,s Lautiehre .

ثم لخص هذا الكتاب فى محاضرة ألقاها باللغة العربية فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكيـــة بالقاهرة ، ثم نشرت هذه المحاضرة فى صحيفة الجامعة المصرية عام ١٩٣١ م ، وكانت تحت عنوان : (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا) .

وقد رأى شاده أن سيبويه قد توصل إلى وصف مخارج وصفات أصوات اللغة العربيـــة بدقة فائقة لا يستطيع أحد أن يغير منها أو أن يزيد عليها ، يقول شاده عن سيبويه بأنه " بلـــغ فى تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصحة والدقة ما يعسِّر علينا الزيادة والإصلاح " (١)

ويعد شاده بذلك من المستشرقين المنصفين للحضارة العربية ، والمعترفين بدور علماء العرب فى إثراء الفكر الإنسانى .

وعلى الرغم من اعتراف شاده بدقة سيبويه وريادته إلا أنه رأى أن عبارة سيبويه تحتاج إلى توضيح أو تفسير فى بعض المواضع ، كما أخذ على سيبويه بعض المآخذ التى لا تقلل من قيمة جهده ، ولا تنقص من قدره ، ويدل على ذلك أنه فى ختام محاضرته قال : " ومع مـــا فيـــه مـــن بواعث الأسف فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره ما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب مفخرًا من أعظم مفاخر العرب "(٢) .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٥، العدد الخامس .

(٢) السابق ص ٢٦ ، العدد السادس .

ولكن هذه المآخذ التي رآها شاده على سيبويه لا نسلم له بها جميعها ، بل منها ما يمكن أن نسلم له به ، ومنها ما يستحق المناقشة أو الرد عليه ، وسيتبين ذلك في أثناء هذا البحث ، إن شاء الله .

ونظرًا لأهمية هذه المحاضرة التي ألقاها شاده فقد أبدى كثير من اللغويين العرب المحدثين عنايتهم بها ، وأشاروا إليها في مؤلفاتهم ، ورجعوا إليها في مصنفاتهم ، ومن هؤلاء :

١ ــ د / إبراهيم أنيس في كتابه : " الأصوات اللغوية " .

٢ ــ د / أحمد علم الدين الجندي في كتابه : " اللهجات العربية في التراث " .

٣ ــ د / رمضان عبد التواب في كتابه : " المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي " ، وفي كتابه : " التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه"، وفي بحثه : " مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء " .

٤ ــ د / عبد الرحمن أيوب في كتابه : " أصوات اللغة " .

٥ ــ د / عبد الغفار حامد هلال في كتابه : " اللهجات العربية نشأة وتطوراً "

٦ ــ د/ محمود السعران في كتابه: " علم اللغة مقدمة للقارىء العربي ".

وأكتفي بذكر هذه الأمثلة من علماء اللغة العرب الذين اعتمدوا على هذه المحاضرة ، أو أشاروا إليها في مؤلفاتهم مما يدلّ على أهميتها في مجال الدراسة الصوتية الحديثة.

وقد اقتضت الدراسة في هذا البحث أن تأتي في مقدمة ، وأربعة مباحث، وخاتمة .

أما **المقدمة** : فقد تناولت فيها أهمية موضوع البحث ، وعرفت فيها بمحاضرة شاده تعريفاً موجزاً غير مخل ، وذكرت فيها خطة البحث ، ومنهج الدراسة .

ومباحث الدراسة جاءت على النحو التالى :

المبحث الأول : ذكرت فيه مآخذ شاده على سيبويه فيما يتعلق بالمصطلحات الصوتية التى استعملها سيبويه فى كتابه ، وبينت وجهة نظر شاده فى مأخذه ، وقبول هذا المأخذ أو رده .

المبحث الثانى : تناولت فيه مآخذ شاده على سيبويه فيما يتعلق بدور بعض أعضاء النطق فى تكوين الأصوات وإنتاجها ، فقد أشار شاده إلى أن سيبويه كان يجهل الحنجرة ، والوترين الصوتيين ، ولم يدرك دور الفراغات الرنينية فى تكوين الصوت ، فبينت وجهة نظر شاده فى ذلك ، وما يقبل ومالا يقبل من هذه المآخذ.

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن مآخذ شاده على سيبويه فيما يتعلق بالأصوات مفردة ، فقد تناول شاده بعض الأصوات بالدراسة إما من حيث مخرجها ، أو من حيث صفاتها ، ومن الأصوات التى تناولها شاده الطاء ، والقاف ، والضاد ، فبينت رأى سيبويه فى هذه الأصوات ، وموقف شاده من هذا الرأى.

المبحث الرابع : ذكرت فيه مآخذ شاده على سيبويه فيما يتعلق بتأثير الأصوات بعضها فى بعض ، أو بمعنى آخر التأثير والتأثر بين الأصوات فى حالة تركيبها ، فقد بينت آراء شاده وموقف اللغويين منها وما يقبل وما لا يقبل من هذه الآراء.

أما **الخاتمة** : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها من هذه الدراسة .

والمنهج الذى سرت عليه فى دراسة مآخذ شاده على سيبويه هو أننى كنت أضع عنوانا لكل مأخذ ، ثم أذكر كلام شاده الذى يتعلق بهذا المأخذ ، ثم أذكر ما يؤيد أو يخالف رأيه من أقوال اللغويين ، وغالبًا كنت أذكر رأيي فى ختام كل مأخذ .

وفى الختام الله أسأل أن يجنبنا الزلل فى القول والفعل ، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المبحث الأول

مأخذ تتعلق بالاصطلاحات

كل علم من العلوم له اصطلاحاته الخاصة به ، فعلم الحديث ـــ مثلا ـــ له اصطلاحاته التى تخصه كأن يطلق على الحديث بأنه مرسل، أو مسند ، أو معنعن ... إلخ ، وكذلك علم البلاغة من اصطلاحاته : التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ... إلخ ، فكذلك علم الأصوات له اصطلاحاته كالصوت ، والحرف ، والمخرج ... إلخ .

ومعنى الاصطلاح أن تتفق طائفة على لفظ أو رمز ؛ لأداء مدلول خاص بهم فى علم من العلوم ، أو فن من الفنون ، وقد عرف على بن محمد الجرجانى الاصطلاح بأنه : " عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"(١) ، وقريب من ذلك ما جاء فى المعجم الوسيط ففيه : " الاصطلاح : مصدر اصطلح ، و ـــ اتفاق طائفة على شيء مخصوص "(٢).

وهناك بعض الأسس التى ينبغى أن تتوافر فى المصطلح الذى يستعمل ، ومن تلك الأسس أن يكون المصطلح محدد المدلول ، فينبغى على المصطلح ـــ بكسر اللام ـــ أن يحدد مدلول ما يستعمل من المصطلحات ، وليس لأحد أن يعترض عليه فى ذلك ، يقول د/ عبد الصبور شاهين : " من واجب الباحث أن يحدد مدلول ما يستخدم من المصطلحات عند بداية بحثه ، وليس لأحد أن ينازعه هذا الحق العلمى "(٣)، ومن الأسس التى ينبغى أن تلاحظ فى وضع المصطلح اللغوى " أن يكون لفظاً أو تركيباً ، وألا يكون عبارة طويلة تصف الشئ وتوحى به ، وليس من الضرورى

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ٥٠ ، تحقيق / عبد الرحمن عميرة ، ط / عالم الكتب ، سنة ١٤٠٧ هـ ـــ ١٩٨٧ م .

(٢) ١ / ٥٤٠ (صلح) ، ط / مجمع اللغة العربية .

(٣) فى علم اللغة العام د / عبد الصبور شاهين ص ٨ ، ط / مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٨ م .

أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذى يدل عليه ، فالمصطلح يحمل صفة واحدة على الأقل من صفات ذلك المفهوم "[1]

وقد أخذ شاده على سيبويه بعض المآخذ التى تتعلق باصطلاحات سيبويه فى علم الأصوات ، حيث إن شاده يرى أن سيبويه قد خلط بين بعض الاصطلاحات ، ولم تكن واضحة كل الوضوح فى ذهنه ، ومن ثم نقلها للناس غير واضحة ، " حتى ذهب بعضهم إلى أن سيبويه فهم النحو والصرف فهماً تاماً عن شيوخه ، ولكنه لم يفهم عنهم الأصوات ، ومن ثم لم يستطع أن ينقلها واضحة للناس "[2]، ولكن سيتبين من هذه الدراسة أن سيبويه كان على إدراك تام بمدلولات اصطلاحاته وإن كانت فى بعض المواضع تحتاج إلى توضيح ، وله العذر فى ذلك فهو يؤسس علماً جديداً ، ويشق مسلكاً صعباً ، ويعبّد طريقاً وعراً .

وفيما يلى عرض لبعض المآخذ التى أخذها شاده على سيبويه فيما يخص اصطلاحاته فى علم الأصوات :

---

(١) الأسس اللغوية لعلم المصطلح د/ محمود فهمى حجازى ص ١٥ ، ط/ مكتبة غريب.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ص ٦٠ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م

أولاً : لم يفرق سيبويه بين الحرف والصوت اللغوى :

يقول شاده عن سيبويه : " ومن بواعث الأسف أنه فى كثير من الأحوال عبر عن الصوت المسموع وعن علامته المخطوطة المرئية بلفظ واحد وهو الحرف " (١)

ثم عاد شاده والتمس العذر لسيبويه فى هذا الخلط بين الاصطلاحين ، حيث إن هذا الخلط لم ينفرد به سيبويه وحده بل اشترك معه فى ذلك كثير من علماء الغرب ، وكثير من دارسى اللغات سواء أكان عند العرب أم عند غيرهم ، يقول شاده : " ولكن هذا التقصير هو خلل فى الاصطلاح أكثر من كونه خللاً فى الإدراك ، ويقتضى الإنصاف أن نعترف أن كثيرين من العلماء الغربيين لم يعتادوا فى هذه النقطة تعبيراً واضحاً إلى الآن " (٢) .

أبدأ بالحديث عن المعنى اللغوى ، والمعنى الاصطلاحى لكل من الحرف والصوت اللغوى فأقول : جاء فى لسان العرب لابن منظور : " الحرف فى الأصل : الطرف والجانب وبه سمى الحرف من حروف الهجاء (٣) ، أما الصوت فهو الجَرْس، والجَرْس هو : " الصوت المجروس ، والجَرْس : الصوت نفسه ، والجَرْس : الأصل ، وقيل الجَرْس والجِرْس : الصوت الخفى " (٤).

وفى اصطلاح علماء اللغة يستعمل الحرف للدلالة على الرمز الكتابى ، أو بمعنى آخر الحروف هى : " العلامات الكتابية التى تستخدم فى اللغة المعينة للدلالة على أصوات معينة ، أو ــ قل ــ هى حيل أو وسائل كتابية تستخدم لتمثيل النطق وتصويره "(٥)

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٦ ، العدد الخامس .

(٢) السابق ص ٦ ، العدد الخامس .

(٣) ٨٣٨/٢ (حرف) ، ط /دار المعارف .

(٤) السابق ٥٩٧/١ (جرس) .

(٥) دراسات فى علم اللغة د / كمال بشر ص ١٧ ، ط/ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٨م .

والصوت اللغوى يستعمل فى اصطلاح علماء اللغة للدلالة على الرمز الصوتى ، أو هو : " أثر سمعى ، أو حدث نطقى ، يدرس وينظر فى إطار النظام الصوتى للغة المعينة " (١)

و يميل المحدثون من اللغويين إلى استعمال مصطلح الأصوات بدلاً من استعمال مصطلح الحروف للدلالة على هذه الرموز الصوتية التى تتكون منها لغة من اللغات ، أما الرموز الكتابية وهى الحروف فهى خاصة بالكتابة ، وربما أطلق الرمز الكتابى على الرمز الصوتى، وبذلك يكون مصطلح الحرف قد استعمل للدلالة على الصوت اللغوى ، وللدلالة على الرمز الكتابى ، وبعبارة أهل المنطق بينهما عموم وخصوص ، فالحرف أعم فكل حرف صوت وليس كل صوت حرفاً ، فالتكرير فى صوت الراء صوت وليس حرفاً .

وقد أخذ شاده على سيبويه أنه ربما استعمل مصطلح الحرف وهو يقصد الصوت ، فسيبويه لم يفرق فى الاستعمال بين مصطلح الحرف ومصطلح الصوت ، وربما أطلق الحرف وهو يريد الصوت ، يقول د / تمام حسان : " ومن الواضح أن سيبويه مع تفريقه بين أصول الحروف وفروعها لم يكن يفرق بين اصطلاحى (الحرف) و (الصوت) على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث بين اصطلاحى sound و phoneme أو allophone فالحرف لديه يشمل كل ذلك " (٢).

نعم ربما أطلق سيبويه لفظ الحرف وأراد الصوت فقد وضع بابًا فى كتابه عنوانه : " هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها" (٣)، فاصطلاح الحروف فى هذا الباب أراد به الأصوات ، ولعل السبب وراء ذلك يرجع إلى أن الحرف رمز للصوت فأطلقه عليه .

---

(١) السابق ص ١٧ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٧ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣١ ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، ط / الخانجى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

هذا،وقد استعمل سيبويه مصطلح الحرف للدلالة على الرمز الكتابي وهو الأصل في هذا الاستعمال،ومن ذلك قوله: " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز ... " (١)

وأعود إلى تفرقة شاده بين الصوت والحرف ، حيث فرق بينهما بأن الصوت هو المنطوق المسموع ، أما الحرف فهو المخطوط المرئى ، وقد قال بهذا الفرق ـــ أيضًا ـــ د / رمضان عبد التواب ، فقد فرق بين الصوت والحرف بقوله : " فالصوت هو ذلك الذى نسمعه ونحسه ، أما الحرف فهو ذلك الرمز الكتابي الذى يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين ، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدى تبادلها فى الكلمة إلى اختلاف المعنى"(٢).

هذا الفرق يختلف عن فرق آخر ذكره قديما أبو الفتح عثمان بن جنى حيث ذهب إلى أن الصوت يعنى ذبذبة الأوتار الصوتية ـــ وإن لم يقل ذلك صراحة ـــ والحرف معناه مخرج الصوت ، أو حد منقطع الصوت وغايته كما صرح بذلك فى بعض المواضع ، يقول ابن جنى : " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له فى الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا " (٣)

وقد أوضح د / رمضان عبد التواب كلام ابن جنى فقال : " فابن جنى يفهم الصوت هنا ـــ فيما يبدو ـــ على أنه صوت ذبذبة الأوتار الصوتية ، وإن لم يصرح بذلك ، أما الحرف فإنه يرادف فى كلامه ما سبق أن سميناه بمخرج الصوت " (٤).

وأما د/ عبد الغفار هلال فقد فسر كلام ابن جنى تفسيراً يختلف عن تفسير د/ رمضان قليلاً ، حيث فسر الصوت بمعنى النشاط الحركى ، أما الحرف فمعناه واضح وهو يقصد به مخرج

---

(١) السابق ٤ / ٤٣٦ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٨٣ ، ٨٤ ط / الخانجى بمصر سنة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢م.

(٣) سر صناعة الإعراب ١ /٦ تحقيق د / حسن هنداوى ، ط / دار القلم سنة ١٤٠٥ هـ ـــ ١٩٨٥ م .

(٤) المدخل إلى علم اللغة ص ٨٥ .

الصـــوت ، يقول د/ عبد الغفار : " فالصوت نشاط عضوى حركى تنشأ عنـــه قـــيم صـــوتية، والحرف هو تلك الوحدة اللغوية المعينة كالنون، والباء –مثلاً– التى توجد عند موقع معين يقـــف عنده الصوت يطلق عليه اسم المخرج "(١)

وربما يقصد ابن جنى بالصوت هنا المعنى الفيزيائى ، أى : الصوت الطبعى الـــذى يـــصدر نتيجة أى احتكاك بين عضوين من أعضاء النطق .

وهناك فروق أخر ذكرها اللغويون بين الصوت والحرف ، ومن ذلك أن الصوت قد ينطق ولا يكتب ، وأن الحرف قد يكتب ولا ينطق ، يقول د / محمود فهمى حجازى : " وثمـــة فـــرق أساسى بين مجموع الحروف ومجموع الأصوات فى أنماط كثيرة من الكلمات العربيـــة ، فالفعـــل الماضى كتبوا ، سافروا ... إلخ ينتهى بألف ليست لها دلالة صوتية ، وعلى العكـــس مـــن هـــذه الظاهرة نجد الحروف التى تكتب بها كلمات كثيرة أقل عددا من الأصوات المكونة لها ، وبعـــض الحركات الطويلة لا تكتب فى بعض الكلمات مثل:هذا ، وهذه ... "(٢)

أما د / تمام حسان فيرى أن الحرف هو أمر ذهنى يدرك بالعقل ؛ لأن الحرف يدل على مجموعة من الأصوات ، فالحرف عنده يرادف ما يسمى عند المحدثين بالفونيم ، وهو أصغر وحدة صوتية ، فإن حرف النون ـــ مثلاً ـــ يدل على كثير من النونات ، يقول د/ تمام : " فـــالنون اصـــطلاح شامل يدخل تحته عدد من الأصوات كالذى فى بداية " نحن " ، والذى قبل الثاء فى " إن ثاب " ، وقبل الظاء فى " إن ظهر " ، وقبل الشين فى " إن شاء " ، وقبل القاف فى " إن قال " ، مع اختلاف واضح بين هذه الأصوات فى المخرج لاحظ أن صوت النون فى " إن ثاب " ، و " إن ظهر " ممـــا يخرج فيه اللسان كالثاء والذال والظاء تماما ، لقد اصطلحنا على أن نسمى هـــذا العـــدد مـــن الأصوات حرف النون فنجعل الحرف أعم من الصوت "(٣)

ومن هنا فقد فرق د / تمام بين الحرف والصوت بما يلى :

---

(١) أصوات اللغة العربية ص ٦١ ، ط / مكتبة وهبة سنة ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

(٢) علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ص ١٢ ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) مناهج البحث فى اللغة ص ١٢٥، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٠م.

١ـ الصوت محسوس والحرف مفهوم :

أى : أن الصوت يدرك بالسمع والبصر، أما الحرف فيدرك بالعقل، يقول : " فالصوت عملية نطقية تدخل فى تجارب الحواس وعلى الأخص السمع والبصر ، يؤديه الجهاز النطقى حركة وتسمعه الأذن ، وترى العين بعض حركات الجهاز النطقى حين أدائه ، أما الحرف فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين ، فهو فكرة عقلية لا عملية عضلية ، وإن كان الصوت مما يوجده المتكلم فإن الحرف مما يوجده الباحث " (١) .

٢ ــ الصوت جزء من تحليل الكلام والحرف جزء من تحليل اللغة .

هناك فرق بين الكلام واللغة ، وقد ذكر هذا الفرق د / تمام فقال : " فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل ، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحس بالسمع نطقا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل فى الكلام "(٢) .

ومن هنا فإن الصوت هو جزء من الكلام الذى يدرك بالحس، أما الحرف فهو يفهم فى إطار نظام معين يسمى النظام الصوتى الذى تتكون منه اللغة ، يقول د / تمام : " وآخر الفروق بين الصوت والحرف أن الصوت جزء من تحليل الكلام وأن الحرف جزء من تحليل اللغة " (٣) .

وواضح أن هذه التفرقة بين الصوت والحرف تختلف عن التفرقة التى ذكرها شاده ، فقد اتفقا فى النظرة إلى الصوت ، واختلفا فى النظرة إلى الحرف ، فشاده نظر إلى الحرف من جانب الشكل ، و د / تمام نظر إلى الحرف من جانب المفهوم .

وإطلاق الحرف على الصوت من الأمور الشائعة عند المؤلفين والباحثين ، بل إن شاده نفسه أطلق الحروف على الأصوات فى أكثر من موضع من محاضرته ، ومن ذلك

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١٢٩، ط / عالم الكتب سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٢ .

(٣) السابق ص ٧٤ .

قوله : " فإننا نذهب إلى أن تشبيه الحرف بالحرف التالى أو تقريبه منه يعادل فتح الآكل فمه قبل أن يبلع الطعام شفتيه " (١)، يريد تشبيه الصوت بالصوت أو تقريبه منه ، وقال ــ أيضاً ــ : "ويصح عكس ذلك عن الأحوال التى يقرب فيها حرف إلى حرف سابق ، مثل : (فَحَصْطُ) بالطاء بدلاً عن التاء فى لغة بنى تميم"(٢)، وقال ــ أيضاً ــ فى موضع آخر : " فمآل بحثنا عن أصل تقريب الحروف وإبدالها أن نصيب الغفلة والنسيان فى إحداث مثل هذه الحوادث يفوق نصيب التفكير والقصد بكثير . " (٣) .

يقصد شاده بالحرف أو الحروف فى النصوص السابقة الأصوات ، فقوله : " الحرف بالحرف " يعنى الصوت بالصوت ، وقوله :" يقرب فيها حرف إلى حرف سابق " أى صوت إلى صوت وهكذا، ويغلب استعمال مصطلح الحروف عندما تقسم الأصوات إلى قسمين : حروف وحركات ، فإطلاق الحروف لتمييزها عن الحركات ، وكلاهما أصوات .

ونظراً لأن استعمال الحرف بمعنى الصوت اللغوى من الأمور الشائعة فى الدراسات الصوتية ، وفى غيرها من الدراسات اللغوية ، فيمكن التسامح فى هذا الاستعمال ، لكن ينبغى أن تكون حقيقة كل منهما واضحة فى الأذهان من غير لبس أو إبهام .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٧ ، العدد السادس .

(٢) السابق ص ١٨ .

(٣) السابق ص ١٨ .

ثانياً : خلط سيبويه فى الاستعمال بين مخرج الحرف وموضعه :

يقول شاده : " أما سيبويه نفسه فعبارته (مخارج الحروف) ، أو منافذها ، ولا تصح هذه العبارة إلا على الاختصار ، فإن ما يخرج من المخارج ليس هو الحرف نفسه بل تيار النفس الذى هو العامل الأول فى إنتاجه ، والنفس له طريقتان من الخروج ، إما حين وجود العارض كما هو الحال فى السين والصاد وغيرهما من الحروف الرخوة، وإما بعد زوال العارض كما فى التاء والطاء وسائر الحروف الشديدة ، وما عدا المخرج والمنفذ يوجد عند سيبويه اصطلاحان يرادفانهما فى بعض الأحوال ، وهما الموضع والمعتمد ، والمقصود منهما الموضع الذى يضيِّق فيه طريق النفس أو يقطع وقد (حزرتم)(١) غالبا أن هذا الموضع أو المعتمد هو موضع العارض الذى قد أكثرنا الكلام عنه ، وتدركون بلا صعوبة ــ أيضا ــ أنه من الممكن وليس من اللازم أن يكون موضع العارض مكان خروج النفس يعنى مخرج الحرف حسب اصطلاح سيبويه " (٢) .

يميل بعض المحدثين من اللغويين إلى استعمال اصطلاح موضع الحرف بدلا من مخرج الحرف للدلالة على المكان الذى يتكون فيه الحرف ، أما المخرج عندهم فهو يعنى الطريق الذى يسلكه النَّفَس فى أثناء الخروج من الرئتين حتى يصل إلى خارج الفم ، يقول د / محمود السعران: " وعندما يمس عضو من الأعضاء الناطقة المتحركة عضواً آخر من هذه أو أحد الأجزاء الثابتة فالاصطلاح جار على تسمية موضع التماس (التلاقى) ، أو التقارب (موضع الحرف)"(٣) .

وقد استعمل سيبويه اصطلاح مخرج الحرف للدلالة على الموضع الذى ينقطع فيه الصوت سواء أكان فى الحلق ، أم فى اللسان ، أم فى الشفتين ، فإذا قلنا : " أَحْ " فإن الموضع الذى ينقطع فيه صوت الحاء هو مخرجها عند سيبويه وهو وسط الحلق ، وكذلك إذا قلنا : " أَجْ " ، أو " أَبْ " ...إلخ .

---

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٧، العدد الخامس .

(٣) علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ص ١٤٢ .

ومن الدلالة اللغوية للفظ مخرج يتبين أنها تدل على موضع خروج الصوت، أى : الطريق الذى يسلكه الصوت فى أثناء خروجه، ولا شك أن هذا الطريق قد يكون هو الموضع الذى ينقطع فيه الصوت، وهو موضع اتصال العضوين ، وقد يكون هو الطريق الذى يمر فيه النفس منذ خروجه من الرئتين حتى يصل إلى خارج الفم .

ومن هنا فإن شاده يرى أن استعمال سيبويه لاصطلاح المخرج للدلالة على الموضع الذى ينقطع فيه الصوت هو تخصيص لدلالة اللفظ الذى يدل على موضع الخروج مطلقاً وليس الموضع الذى ينقطع فيه الصوت فقط ، ويرى شاده أنه يمكن إطلاق اصطلاح موضع الحرف بدلا من مخرجه .

وقد أقر د/ إبراهيم أنيس بصواب وجهة نظر شاده فى ذلك ، وأنه على حق فى هذه الملاحظة حيث يقول : " يرى الأستاذ المحاضر ــ يعنى شاده ــ أن كلمة (المخرج) التى اتخذها سيبويه مصطلحاً للموضع الذى فيه يولد الصوت اللغوى مصطلح جانبه التوفيق ، وفى هذا الموضع يلحظ الدارس أن عضوين من أعضاء النطق يتصلان فى أثناء النطق بالصوت ، فطوراً يكون اتصالهما محكماً بحيث يحبس النفس لحظة بعدها ينفرجان فجأة ، ويكون هذا مع الصوت الشديد كالدال والتاء والكاف ونحوها ، وطوراً يكون اتصال العضوين بحيث يترك بينهما منفذ صغير يسمح بمرور النفس ، ويكون هذا مع الصوت الرخو كالذال والزاى والسين ونحوها ، فالمحاضر يسمى مكان اتصال العضوين بالموضع ، أما المخرج فى رأيه فهو الطريق الذى يتسرب منه النفس إلى الخارج ، والمحاضر هنا على حق "(١)

ثم عاد د / أنيس وأقر بصحة اصطلاح سيبويه ، ورأى أن تغيير هذا الاصطلاح لا مبرر له فالمخرج هو الموضع الذى ينقطع فيه الصوت ، أو يتصل فيه العضوان وذلك هو مذهب إليه سيبويه ، وأما الطريق الذى يسلكه النفس منذ بدايته وحتى يصل إلى خارج الفم فيمكن أن يطلق عليه اصطلاح (المجرى) ، يقول د / إبراهيم أنيس: " أما الذى يحل الإشكال فهو ما جرينا عليه فى هذا الكتاب من استعمال مصطلح جديد لطريق النفس سميناه (المجرى) ، أى : طريق النفس

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١١٣ ط/ الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٥م .

من الرئتين حتى الخارج ، ويكون مخرج الصوت حينئذ هو نقطة معينة فى هذا المجرى كما أراد سيبويه ، وبذلك نبقى على مصطلحه " (١).

أما د / محمد الأنطاكى فقد اقترح أن يطلق مصطلح (المحبس) على المكان الذى يتكون فيه الصوت ، فقد قال : " تسمى النقطة التى يجرى عندها الانسداد بالمحبس " ، ثم علق على ذلك بقوله : " وهذه تسمية أخرى نقترحها بدلاً من كلمة (مخرج) التى اتفق عليها القدماء والمحدثون من اللغويين ، وذلك لأن كلمة مخرج تدل كما يشير إلى ذلك اشتقاقها على المكان الذى يخرج منه النفس والصوت الأعلى مكان الانحباس ، وإن كانت نقطة الانسداد ونقطة الخروج واحدة فى كثير من الأصوات ، فإنها ليست كذلك مع بعضها ألا ترى أن نقطة الانسداد مع الميم هى الشفتان ، وأن مخرج صوت الميم من الأنف ؟ " (٢).

هذا الاصطلاح يمكن أن يقبل نظرياً ، أما عملياً فلا نستطيع أن نقبل هذه المصطلح المقترح ؛ لأن تعدد المصطلحات على الشىء الواحد يشتت الدارسين والباحثين ، واصطلاح سيبويه — على الرغم مما أخذ عليه — شاع بين الدارسين ، وأقره جمهور اللغويين ، فليس هناك ضرورة حتمية تستوجب تغييره .

ثم تحدث شاده عن الموضع والمعتمد ، وذكر أنهما فى اصطلاح سيبويه يرادفان المخرج والمنفذ ، يقول شاده : " وما عدا المخرج والمنفذ يوجد عند سيبويه اصطلاحان يرادفانهما فى بعض الأحوال وهما الموضع والمعتمد "

ومن ذلك يتبين أن شاده يرى أن الموضع أو المخرج يرادفان المعتمد عند سيبويه ، وهذا غير دقيق ؛ لأن سيبويه أطلق المخرج على الموضع الذى يلتقى فيه العضوان ،ومن ذلك – مثلاً – قول سيبويه : " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف "(٣) فإنه يريد أن مخرج القاف هو المكان الذى يلتقى فيه أقصى اللسان مع الحنك الأعلى .

---

(١) السابق ص ١١٤ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة ص ١٣١ ، ط / دار الشرق — بيروت .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٣ .

أما المعتمد فإنه يقصد به الضغط على الحرف فى موضعه أو مخرجه ، يقول د / تمام حسان: " فمنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتين لإفراغ ما فيهما من الهواء ، وهو (أى : الاعتماد أو الضغط) واقع على مخرج الحرف ، أى : المكان الذى يتم نطقه فيه " (١)

ثالثا : لم يفرق سيبويه بين تيار النفس وبين الصوت :

يقول شاده عن سيبويه : " وكذلك معرفته بالعامل الأول أعنى تيار النفس مازالت ناقصة ، فإنه لم يصل أبدا إلى فرق بيِّن بَيْن ذلك التيار نفسه والأصوات التى ينتجها ، كما يتضح من كونه يعبر عن كليهما بعبارة (الصوت) ، وقلت فى كتاب سيبويه المواضع التى ترينا أنه لم يقصد بعبارة الصوت مجرد الظاهر السمعى ، ولكن سببه ـأيضاـ وهو التيار المذكور ومن هذه المواضع ما قاله فى أول (باب الوقف فى الواو والياء والألف) ، حيث يقول : هذه الحروف ... مخارجها متسعة لهواء الصوت ، ومثل ذلك يوجد فى باب (عدد الحروف العربية ومخارجها) . " (٢)

هناك فرق بين النفس بتحريك الفاء وبين الصوت ، فالنفس هو خروج الهواء بدفع الطبع من غير أن يسمع ، أما الصوت فهو ينتج عن تصادم النفس مع جسم آخر فيسمع له صوت ، ومن هنا فإن النفس هو سبب أو أساس لحدوث الصوت ، وقد أدرك علماء التجويد هذا الفرق بين النفس وبين الصوت ، يتبين ذلك من قول الإمام محمد مكى نصر حيث قال : " وتحقيق ذلك أن الهواء الخارج من داخل الرئة بالهمز (= الضغط) (٣)، وهو موضع النفس وللقلب كالغشاء إن خرج بدفع من غير أن يسمع يسمى نفساً بفتح الفاء ، وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج يسمع بسبب تصادم جسمين سمى صوتاً"(٤)

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦١ .

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٦ ، العدد الخامس .

(٣) ما بين القوسين زيادة منى للإيضاح .

(٤) نهاية القول المفيد فى علم التجويد ص ٤١ ، ط/مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٤٩هـ

ومعنى ذلك أن الهواء الخارج من الرئتين إن خرج بدفع الطبع من غير أن يعرض له عارض فى الحلق أو الفم أو الأنف يسمى نفسا، أما إن عرض له عارض أو تضييق فى الحلق أو الأنف أو الفم وسمع سمى صوتا .

ولا يخفى على سيبويه حقيقة كل من النفس والصوت ، ولكنه ربما استعمل لفظ الصوت فى الموضع الذى كان من الأولى أن يستعمل فيه لفظ النفس ، ومن ذلك ـــ بالإضافة إلى المواضع التى ذكرها شاده – أنه عرف الحرف الشديد بأنه "هو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه" (١) ، فقد استعمل هنا لفظ الصوت وكان الأولى أن يستعمل لفظ النفس ؛ لأنه يتحدث عن صفة من صفات الصوت فلم يكتمل الحديث عن الصوت حتى يمنع أو لا يمنع .

والموضع الذى فرق فيه سيبويه فى الاستعمال بين الصوت والنفس كان مخصوصا بمجموعة من الأصوات = الحروف ، وليس عاماً فى جميع الاستعمالات، نجد ذلك عند تفريقه بين الحرف المجهور وبين الحرف المهموس ، حيث عرف المجهور بأنه " حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت " (٢)، وعرف المهموس بأنه " حرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى النفس معه . " (٣)

وبعيداً عن اختلاف العلماء مع سيبويه فى تعريف المجهور والمهموس ـــ وسيأتى ذلك فى موضعه من هذا البحث ـــ فإن الذى يعنينا هو أنه عبر عن المجهور بقوله " ويجرى الصوت " ، وعبر عن المهموس بقوله " حتى جرى النفس"، فقد استعمل مع المجهور الصوت ومع المهموس النفس .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

(٢) السابق ٤ / ٤٣٤ .

(٣) السابق ٤ / ٤٣٤ .

ومن المحدثين من ذهب إلى أن هذا التفريق فى الاستعمال بين الصوت والنفس هو أدق ما فى تعريف سيبويه للمجهور والمهموس[1]، ولكن يؤخذ على سيبويه أنه خص استعمال النفس مع الحروف المهموسة على حين أن النفس موجود فى كل الأصوات فهو الأساس فى كل صوت لغوى ، وقد أشار شاده إلى ذلك بقوله : " أما نحن فقد تيقنا أن تيار النفس هو أساس كل صوت لغوى مهما كان نوعه، وأما سيبويه فلم يعز النفس إلا لنوع مخصوص من الحروف وهى المهموسة"[2].

ومما سبق يتبين أن سيبويه استعمل مصطلح الصوت بمعنيين :

أحدهما : الحدث النطقى ، والآخر : النفس ، ويرى شاده أنه من الأولى التفريق فى الاستعمال بين هذين المصطلحين ، أعنى : الصوت والنفس ، حيث إن الصوت يتكون من ثلاثة عوامل وهى : النفس ، والعارض ، والرنين ، فالصوت لا يطلق إلا على ما اشتمل على هذه العوامل الثلاثة ، وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأى فإن استعمال سيبويه الصوت بمعنى النفس له ما يؤيده ، حيث إن النفس جزء والصوت كل ، وربما استعمل الكل للدلالة على الجزء كإطلاق الأصابع على الأنامل فى قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [3].

---

(١) قال بذلك أستاذنا الدكتور / محمد حسن جبل فقد قال : " وأدق ما فى تعريف سيبويه للهمس هو استعمال كلمة (نفس) دون كلمة (صوت) ، فالحرف المهموس يتكون بإيقاع الحبس أو التضييق على النفس الخالى من الزمير فى أثناء مرور ذلك النفس فى تجويف الجهاز الصوتى خارجا من الحلقوم "

ينظر : أصوات اللغة العربية ص ١٠٨ .

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٩ ، العدد الخامس .

(٣) البقرة من الآية / ١٩.

المبحث الثانى

مأخذ تتعلق بدور بعض أعضاء النطق فى إنتاج الأصوات

أشار سيبويه إلى كثير من أعضاء النطق فى أثناء حديثه عن مخارج الحروف ، فقد ذكر الحلق بأقسامه الثلاثة : أقصاه ، ووسطه ، وأدناه ، وذكر اللسان وأقصاه ، ووسطه ، وطرفه ، ومستدقه ، كما ذكر الفم ، والخياشيم ، وذكر ــ أيضاً ــ الحنك الأعلى ووسطه ، وقسم الأسنان إلى الثنايا ، والرباعيات ، والأنياب ، والأضراس ، وأصول الثنايا ، وأطرافها ، وذكر ــ أيضا ــ الشفتين ، " ويظهر من بعض ما يقوله فى كتابه أنه يعد من آلات النطق الصدر ــ أيضاً ــ وليس ذلك غلطا ؛ لأن الصدر يحتوى على الرئة ، والرئة هى مصدر النفس ، الذى هو كما رأينا جوهر كل صوت لغوى " (١).

وعلى الرغم من أن سيبويه قد أفاض فى ذكر كثير من أعضاء النطق إلا أنه غفل عن الحديث عن بعضها ، وقد ذكر شاده أن سيبويه قد غفل عن ذكر الحنجرة ، حيث إن سيبويه لم يتعرض لذكرها ، ولم يتحدث عن دورها فى النطق ، كما لم يتحدث سيبويه عن الوترين الصوتيين (٢) ، ولا عن أثرهما فى إنتاج الأصوات ، وكذلك لم يذكر سيبويه دور الفراغات الرنينية فى تكوين الأصوات ، وسأتناول ذلك بالتفصيل فيما يلى :

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٥ ، العدد الخامس .

(٢) من المؤلفين من يعبر عن ذلك بصيغة الجمع فيقول : الأوتار الصوتية ، أو الحبال الصوتية ، أو الأحبال الصوتية ، وفى الحقيقة هما وتران فقط ، ولعل من عبر بصيغة الجمع يكون قد تأثر باللفظ الأجنبى حيث إن الإنجليزية والفرنسية ليس فيهما مثنى .ومن الباحثين من يستعمل مصطلح الطيتين الصوتيتين ، أو مصطلح الشريطين العضليين بدلاً من الوترين أو الحبلين ، ويرى أن هذه التسمية غير دقيقة .=

= ينظر : دراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عمر ص ٨١ ، ط / عالم الكتب سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ودراسات صوتية د/ تغريد السيد عنبر ص ١١٩ ، ط/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠م

وعلى الرغم من أن التسمية القديمة قد تكون غير دقيقة إلا أننا نتمسك بها نظراً لشيوعها فى الدراسات الصوتية ينظر: مقدمة فى أصوات اللغة العربية د/ عبدالفتاح البركاوى ص٤٢ .

أولاً : لم يعرف سيبويه دور الحنجرة فى النطق :

يقول شاده عن سيبويه بأنه : " لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها ، كالمزمار والأوتار الصوتية ، وسبب هذا الاختلاف واضح فإن الأسنان مكشوفة للرؤية ، وأما الحنجرة وأجزاؤها وعملها فتقتضى ملاحظتها إلى التشريح ، وما أظن سيبويه يجترىء عليه."(١)

بداية أقول : إن العرب قد عرفوا لفظ الحنجرة ، فقد جاء فى معجم (العين) : " الحَنْجَرة جوف الحُلْقُوم ، والحُنْجُور : الحنجرة فى قول العجاج :

فى شعشعانٍ عنقٍ يَمْخُورِ
حابى الحُيُود فارضِ الحُنْجُور. "(٢)

فقد عرف الخليل الحنجرة بأنها جوف الحلقوم ، والحلقوم هو: " مخرج النفس لا يجرى فيه الطعام والشراب ، والذى يجرى فيه الطعام والشراب يقال له: المرىء ، وتمام الزكاة بقطع الحلقوم والمرئ والودجين "(٣) ، ومعنى ذلك أن الحنجرة جزء من الحلقوم ، وإذا كان الحلقوم هو مخرج النفس فقد أدرك العرب تمام الإدراك أن الحنجرة جزء من جهاز النطق الذى يجرى فيه النفس منذ بدايته وحتى خروجه من الفم .

لكن هذه المعرفة بالحنجرة لم يكن لها تأثير فى الدراسة الصوتية عند سيبويه، فلم يشر إلى هذا العضو من أعضاء النطق بهذا الاسم ــ أعنى الحنجرة ــ ، وإنما أشار إليها على أنها جزء من

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٥ ، العدد الخامس .

(٢) رجز للعجاج يصف جملا ، والشعشعان : الطويل ، واليمخور : الطويل ــ أيضا ــ ، والحابى : المرتفع المشرف ، والحيود : أطراف العظام .

ينظر : ديوانه ص ١٨٩ ، تحقيق / سعدى ضناوى ، ط / دار صادر ــ بيروت سنة ١٩٩٧ ، والعين ٣ / ٣٢٧ ، تحقيق د / مهدى المخزومى ، د/ إبراهيم السامرائى ، ط / دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م ، ولسان العرب ٦ / ٤١٥٢ (مخر) .

(٣) تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى ١ / ٩٣٦ (حنجر) ، تحقيق / رياض زكى قاسم ، ط / دار المعرفة . بيروت – لبنان . سنة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م .

الحلق وسماه أقصى الحلق ، ولعل السبب وراء ذلك يرجع إلى أن هذا الجزء الذى يطلق عليه الحلق عند القدامى متصل بعضه ببعض ، فلم يخصص الحنجرة بالذكر ، وإنما أشار إليها مع الجزء المتصل بها وهو الحلق ، وسماها أقصى الحلق ، فالاختلاف بين القدامى والمحدثين هو اختلاف فى التسمية أو الاصطلاح ، وليس اختلافا فى الإدراك ، وقد أشار د / كمال بشر إلى أن القدامى أطلقوا على الحنجرة أقصى الحلق فقال : " يبدو أنهم أطلقوا لفظ الحلق على تلك المنطقة التى تشمل فى عرفنا الحاضر: الحنجرة ، والحلق (بمعناه الدقيق)، وأقصى الحنك ، من باب التوسع المجاز ، ويظهر هذا الاحتمال واضحا فى قول قائلهم :

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء

ويقصد أن هذه الأصوات الستة كلها حلقية ، على حين أننا اليوم نقسمها إلى ثلاث مجموعات ، الهمزة والهاء وهما صوتان حنجريان، والعين الحاء وهما صوتان حلقيان ، والغين والخاء وهما من أقصى الحنك " (١).

وقال فى موضع آخر : " قسموا الحلق إلى ما سموه : أقصى الحلق ، ومنه : (الهمزة والهاء)، وأوسطه ، ومنه :(العين والحاء)، وأدناه ، ومنه : (الغين والخاء) ، فأقصى الحلق عندهم — إذا — يقابل الحنجرة فى العرف الحديث ، وبهذا يسوغ لهم ما فعلوا، ويتركز الفرق حينئذ فى التسمية " (٢)

كما أشار د / أحمد محمد قدور إلى أن القدامى أطلقوا على الحنجرة اسم أقصى الحلق فقال: " ويبدو أن عدم ذكر الحنجرة فى أثناء حديث الخليل وسيبويه ومن تلاهما عن المخارج كان يؤدى بقولهم : (أقصى الحلق) ، الذى نسبوا إليه صوت الهمزة والهاء ، وهما صوتان حنجريان كما أثبتت الدراسات الحديثة . " (٣)

---

(١) دراسات فى علم اللغة ص ٦٦ .

(٢) السابق ص ٧٧ .

(٣) أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين ص ٥١ ، ط / دار الفكر المعاصر سنة ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م .

من ذلك يتبين أن سيبويه كان يدرك دور الحنجرة وأثرها فى النطق ، وأنه عبر عنها بأنها أقصى الحلق ، ولم يكن سيبويه يجهل هذا الدور أو ينكره كما زعم شاده .

أما عدم إشارة سيبويه إلى المزمار والوترين الصوتيين فذلك سأتناوله فيما يلى :

ثانياً : لم يدرك سيبويه أثر الوترين الصوتيين فى التفريق بين المجهور والمهموس:

يقول شاده عن الأصوات المجهورة بأنها : " تمتاز عن المهموسة بشد الأوتار الصوتية، أو مطها حتى يستطيع النفس من إطنانها ، وأما المهموسة فترخى الأوتار فى لفظها فلا تطن مع ما يجوز من بينها من النفس ، ولايدهشنا أن سيبويه لم يدرك هذه الحال حق الإدراك ؛ لأنه كما قد ذكرنا كان يجهل الحنجرة وأقسامها . "(١)

بداية أعرف الوترين الصوتيين فأقول : هما غشاءان فى وسط الحنجرة ممتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام ، ويلتقيان فى البروز الظاهر من الحنجرة والذى يعرف بتفاحة آدم ، وتسميتهما وتران مجازية ؛ حيث إنهما يشبهان الشفتين ، يقول د / محمد الأنطاكى عن الوترين الصوتيين : " وتسميتهما بهذا الاسم مجازية ، فليسا وترين بالمعنى المعروف من كلمة وتر بل هما رباطان مرنان يشبهان كل الشبه الشفتين ، ويمتدان فى داخل الحنجرة أفقيا من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذى نسميه بتفاحة آدم ، أما الفراغ الذى بينهما فيسمى بالمزمار ، وفوق المزمار زائدة لحمية تدعى لسان المزمار " (٢)

وقد فرق المحدثون بين الصوت المجهور والصوت المهموس بأن المجهور هو الذى تهتز معه الأوتار الصوتية محدثة ذبذبة ، وهذه الذبذبة هى التى يطلق عليها الجهر ، أما المهموس فهو الذى تنفرج معه الأوتار الصوتية ، ويمر الهواء من بينهما ولا يحدث أى اهتزاز أو ذبذبة .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٣ ، العدد الخامس .

(٢) دراسات فى فقه اللغة ص ١٢٦ .

أما سيبويه فكانت عبارته التى فرق فيها بين المجهور والمهموس تدور حول إشباع الاعتماد وضعف الاعتماد ، فقد عرف الحرف المجهور بأنه " حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت . " (١)

وعرف الحرف المهموس بأنـــه : " حرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى الـــنفس معه " (٢) ، وهذان التعريفان يحتاجان إلى توضيح وتفسير حتى يتبين لنا إذا كان مفهوم ســـيبويه للجهر والهمس يتفق مع ما قاله المحدثون أم لا ، وللغويين فى فهم هذين التعريفين آراء يمكن بيانها على النحو التالى :

١ ــ رأى د / إبراهيم أنيس :

ذهب د / أنيس إلى أن فهم سيبويه للجهر والهمس لا يختلف كثيرا عن فهم المحدثين ، وأنه كان على علم بمدلول الجهر والهمس على النحو المعروف به عند المحدثين فقد فسر عبارة " أشبع الاعتماد " بأنها تعنى إصـــدار الصوت فقال : " وليس للاعتماد معنى فى كلام ســـيبويه ســـوى عملية إصدار الصوت "(٣)، وفسر عبارة "ومنع النفس أن يجرى معه " بأنها تعنى اقتراب الوترين الصوتين حتى يضيقان الطريق أمام النفس الخارج من الـــرئتين فقـــال : " فى رأيى ــ والكـــلام للدكتور / أنيس ــ أن الحس المرهف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الـــصوتين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس " (٤)، وفسر د / أنيس عبـــارة " أضـــعف الاعتماد " الواردة فى تعريف الحرف المهموس بأنها تعنى عدم تمكن الصوت فقال : " أما فى حالـــة المهموس فقد عبر عنها سيبويه بضعف الاعتماد ، أى : عدم تمكن الصوت فى أثناء جريانه فى مجراه ، مما يترتب عليه قلة وضوحه"(٥) .

وبذلك يكون د / أنيس قد فسر تعريف سيبويه للمجهور والمهموس بما يتفق مع فهـــم المحدثين لهما ، وبما يحافظ على بقاء تعريف سيبويه ولا مبرر لتغييره .

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

(٢) السابق ٤ / ٤٣٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ١٢٥ .

(٤) السابق ص ١٢٥ .

(٥) السابق ص ١٢٦ .

٢ ــ رأى د / تمام حسان :

ذهب د / تمام إلى أن فهم سيبويه للمجهور والمهموس يختلف عن فهم المحدثين، حيث فسر عبارة " أشبع الاعتماد " بأنها تعنى الضغط على الحرف فى موضعه فقد قال : " يظهر من إسناد الإشباع والإضعاف إلى الاعتماد ، واتفاق منع جرى الصوت مع إشباع الاعتماد ، وجرى النفس مع إضعاف الاعتماد أن الاعتماد = الضغط Pressure "(١) .

فعبارة " إشباع الاعتماد" معناها الضغط على الحرف فى موضع خروجه ، ويمنع النفس من أن يجرى حتى يبلغ ذلك الضغط غايته ويجرى الصوت ، أما ضعف الاعتماد فمعناه ضعف الضغط على الحرف فى موضع خروجه ، وهذا الفهم للحرف المجهور أو المهموس يختلف عن فهم المحدثين ؛ لأن مدار الحكم على الحرف المجهور أو المهموس لا يكون عند مخرجه ، وإنما يكون عند اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها .

٣ ــ رأى د / محمد الأنطاكى :

ذهب د / الأنطاكى إلى أن سيبويه كان يعنى بالمجهور المنفجر، وبالمهموس الضعيف ، يقول د / محمد الأنطاكى : " إن قول النحاة فى تعريف المجهور بأنه (الحرف الذى أشبع الاعتماد فى موضعه) ، وفى تعريف المهموس بأنه (الحرف الذى أضعف الاعتماد فى موضعه) يمكن أن يفهم منه أنهم كانوا يعنون بالمجهور الحرف المنفجر أو المشرق (Eclatante) ، وبالمهموس الحرف الضعيف أو الخفيف Legere ou (faible)، ولا شيء أكثر من ذلك."(٢)

لكن يؤخذ على هذا الكلام أن المنفجر معناه الشديد ، والضعيف معناه الرخو ، وقد ذكر سيبويه هاتين الصفتين للحروف بعد أن ذكر صفتى الجهر والهمس ، وهذا يدل على أن صفتى الشدة والرخاوة تغايران صفتى الجهر والهمس .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦١ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة ص ١٦١ .

ونخلص مما سبق بما يلي :

١ ــ ليس فى كلام سيبويه عبارة صريحة تدل على أنه كان على علم بوجود الوترين الصوتيين .

٢ ــ اختلف المحدثون فى فهم كلام سيبويه عن المجهور والمهموس فمنهم من قال بأن فهمه يتفق مع فهم المحدثين ، ومنهم من قال يختلف ، فمن قال يتفق فسر ذلك بأن سيبويه وإن كان لا يعلم بوجود الوترين الصوتيين إلا أنه أدرك أثرهما فى عملية الجهر ، ومن قال يختلف وجد أن عبارة سيبويه لا يفهم منها الدلالة على الاهتزاز أو الذبذبة التى تحدث فى أثناء الجهر .

٣ ــ من المحدثين من فهم من كلام سيبويه للمجهور والمهموس أنه يقصد الحبس وعدمه ، وقد أشار د / إبراهيم أنيس إلى خطأ من فهم هذا الفهم فقال : " وقد التبس الأمر على بعض الدارسين فحسبوا أن منع النفس مع المجهور هو ذلك الانحباس المؤقت الذى يحدث مع الأصوات الشديدة ؛ ذلك لأن منع النفس مع المجهور عملية تتم فى الحنجرة ، أما ذلك الانحباس المؤقت فيتم فى مخرج الصوت " (١)

٤ ــ على الرغم من عدم معرفة سيبويه بوجود الوترين الصوتيين إلا أنه كان يدرك نوعا من الترديد أو الصدى فى أقصى الحلق أوفى الحنجرة مع الحروف المجهورة ، فنراه يعبر عن هذا الصدى باسم (صوت الصدر) ، نجد ذلك عند حديثه عن بعض الحروف الرخوة المجهورة حيث يقول : " إذا خرجت بصوت الصدر انسل آخره وقد فتر ... " (٢) ، وكذلك عند حديثه عن الحروف المهموسة فقد قال : " وأما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ ؛ لأنهن يخرجن مع النفس لا صوت الصدر"(٣) ، فالمراد بصوت الصدر فى هذين النصين ذبذبة الوترين الصوتيين ، وإن كان لم يصل إلى مصدر هذه الذبذبة .

وقد أشار د / أحمد محمد قدور إلى أن القدامى قد أدركوا هذا الصدى الصادر من الحنجرة أو أقصى الحلق فى أثناء النطق بالحروف المجهورة حيث يقول: " فالنقص المؤثر فى الدرس

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٢٦ .

(٢) الكتاب ٤ / ١٧٤ .

(٣) الكتاب ٤ / ١٧٥ .

يبدو واضحا فى عدم معرفة القدامى عامة للوترين الصوتيين ، مما سبب غموضا فى تعريفهم للمجهور والمهموس فى الأصوات ، إذ لم يكن متيسرا بحال من الأحوال وقوف أولئك اللغويين على دقائق التشريح وتعمقهم فى فهم آليات النطق ، لكن هؤلاء الذين جهلوا الوترين الصوتيين ودورهما فى التصويت عامة والجهر خاصة تحسسوا شيئا من الترديد أو الصوت أو الصدى المنبعث من الصدر أو الحنجرة وهو إدراك أولى للأثر تولده حركة الوترين الصوتيين . " (١)

أما الوتران الصوتيان فلا شك أن سيبويه لم يكن يعلم بوجودهما ، حيث إن إدراك وجود هذين الوترين يقتضى تشريحا دقيقا لأجزاء الحنجرة ، ولا يمكن أن يدرك بالملاحظة أو الاستنتاج(٢) ، ولا يخفى أن العملية التشريحية للحنجرة كانت خافية على سيبويه وعلى غيره ممن عاصروه ، ويعد العالم الفرنسى فران هو أول من أجرى تجارب علمية على الحنجرة ، وتحدث عن اهتزاز الطيتين الصوتيتين أو الوترين الصوتين وعن أثرهما فى عملية التصويت (٣).

وأما قول شاده : إن سيبويه كان يجهل الحنجرة وأقسامها فقد سبق أن تناولت هذا الرأى بالتحليل والدراسة ، فمن شاء فليرجع إليه فى موضعه .

---

(١) أصالة علم الأصوات ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) هناك تجارب أشار إليها المحدثون لمعرفة الحرف المجهور والحرف المهموس ، ومن ذلك:

١ ــ وضع الإصبع فوق تفاحة آدم .

٢ ــ وضع الإصبع فى الأذن .

٣ ــ وضع الكف على الجبهة .

ينظر : الأصوات اللغوية ص ١٢٣ ، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ص ٣٧ .

وهذه التجارب توضح أثر الوترين فى عملية الجهر ولا تبين حقيقتهما .

(٣) ينظر : دراسات صوتية د/ تغريد السيد عنبر ص ١٤٢ .

ثالثاً: سيبويه لم يكن يعرف دور الفراغات الرنينية فى تكوين الصوت

بعد أن تحدث شاده عن عوامل تكوين الصوت وهى: النفس،والعارض، والرنين قال : " والعامل الثالث وهو الرنين الذى يحدث فى الفم ، أو فى الأنف ، أو فى الصدر ، قد ذكرنا أن هذا العامل زهيد الأهمية فى دراسة أسلوب سيبويه ، وسبب ذلك أن سيبويه لم يعرفه " (١)

أقول : المقصود بالرنين فى كلام شاده هو صدى الصوت ، وبقدر وجود الفراغات التى يتردد فيها هذا الصوت تكون قوته وقدرته على العلو ، والإنسان يتمتع بقدر كبير من هذه الفراغات فى جهاز النطق ، فمنها القصبة الهوائية ، والحنجرة ، والحلق ، وتجويف الفم، وتجويف الأنف ، والجيوب الأنفية فى الجبهة، يقول د / تمام حسان: " فالتجويف الصدرى ، والحلق، والتجويف الفم كله حجرات رنين من أنواع ممتازة؛ ولهذا كان الجهاز الصوتى الإنسانى أكثر الآلات الصوتية كمالاً وإفاء للغرض ، يخرج الهواء – إذاً– من الرئتين فيجد الوترين الصوتيين متقاربين قربا شديدا ولكنهما غير مقفلين، فيمر بينهما فيتذبذبان ويكون لذلك جرس يتردد صداه فى حجرات الرنين التى ذكرناها فوق هذا الكلام ، ويتكون من مجموع الجرس والأصداء الرنينية حس له مقوماته الخاصة من درجة وعلو وقيمة . " (٢)

بعد ذلك أعود إلى كلام شاده حيث ذكر أن سيبويه لم يكن يعرف الرنين ، ولم يكن يعرف دور الصدر ، والأنف ، والفم فى إحداثه ، ولكن من يطالع كلام سيبويه يجد أنه كان على علم ومعرفة بحدوث الرنين وإن لم يسمه بهذا الاسم ، فقد أشار سيبويه إلى الغنة فقال : " النون والميم قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة ، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما " (٣).

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٦ ، العدد الخامس .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص ٦٣ .

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

ولا شك أن الغنة هى رنين يتكون فى التجويف الأنفى للإنسان ، حيث إن الغنة معناها خروج الصوت من الخيشوم ، وهو التجويف الأنفى ، وحروف الغنة هى : الميم والنون ، ومما يدل على أن تردد الصوت فى تجويف الأنف هو نوع من أنواع الرنين قول فيرى كابلان Kaplan: " إن التعدد فى ترددات الرنين يعزى إلى تعدد التجاويف والأركان داخل الأنف ، فليس التجويف الأنفى تقسيما واحدا أو اثنين بل عدة أقسام " (١)

كما أن سيبويه أشار إلى تفخيم بعض الحروف ، ففى أثناء حديثه عن الحروف المطبقة تحدث عن حصر الصوت بين اللسان والحنك ، وهو ما نسميه التفخيم ، يقول سيبويه : " فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء ، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف ، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى، هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك فى مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف"(٢)

وقد أوضح د / تمام حسان هذا الكلام بقوله : " إن الإطباق يحصر الصوت (ومعناه الأثر السمعى) بين اللسان والحنك ، وكأن سيبويه يوشك أن يقول : وبذلك تتكون حجرة رنين لها شكل معين ينتج عنها أثر سمعى معين هو الذى نسميه التفخيم . " (٣)

فالإطباق وصف لهيئة اللسان والحنك ، والتفخيم وصف للصوت الذى يحصر بينهما ،" والفرق بين الإطباق والتفخيم أن الإطباق وصف عضوى للسان فى شكله المقعر المطبق على سقف الحنك ، وأن التفخيم هو الأثر السمعى الناشيء عن هذا الإطباق " (٤)

ومن ذلك يتبين أن التفخيم لا يكون إلا نتيجة للرنين الذى يحدث فى بعض أجزاء جهاز النطق وهو الفم ، حيث إن التفخيم يتم بتردد صدى الحرف فى اتساع فراغ الفم ، فلا يصح -إذاً

---

(١) نقلا عن كتاب التجويد القرآنى دراسة صوتية فيزيائية د / محمد صالح الضالع ص ١٤ ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٢ م .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٦ .

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ص ٦٣ .

(٤) علم الأصوات ، تأليف / برتيل مالمبرج ص ١١٧ ، تعريب ودراسة د / عبد الصبور شاهين ، ط / مكتبة الشباب سنة ١٩٨٥ .

– أن يقال : إن سيبويه لم يكن يدرك أثر الرنين فى نطق بعض الأصوات ، لكن كلام سيبويه يحتاج إلى عمق فى الفهم ، وأناة فى المطالعة حتى يصل الإنسان إلى سبر أغواره ، وإدراك معانيه ومراميه .

المبحث الثالث

مآخذ تتعلق بالأصوات مفردة

وجه شاده سهام النقد لسيبويه حين تناول تحليله لبعض الأصوات وهى فى حالة مفردة من غير أن تتأثر بما قبلها أو بعدها ، أو أن تؤثر فيما قبلها أو بعدها ، حيث إن ذلك له حديث خاص سيأتى فى موضعه من هذا البحث ، إن شاء الله تعالى .

والنقد الذى وجهه شاده لسيبويه يتمثل فى نقد آراء سيبويه التى تتعلق بالحكم على الأصوات من حيث مخارجها أو صفاتها ، ويمكن بيان ذلك فيما يلى :

أ ـ الصوامت :

أولاً : عد سيبويه الهمزة مجهورة وهى عند المحدثين غير مجهورة.

يقول شاده : " ولكن سيبويه قد عد من المجهورة الهمزة ــ أيضاً ــ ، ولا شك أنها ليست من الحروف التى نسميها: voiced consonants؛ لأن الهمز هو إغلاق المزمار ، ومن البديهى أن مزمارا مغلقا لا صوت له ، وإذا كان سيبويه قد عد الهمزة من الحروف المجهورة فسبب هذا الوهم غالبا أنه لم يوفق إلى تجريد الهمزة أبدا بل لاحظها دائما مشكولة، أو بعد حركة حتى عزا جهارة هذه الحركة للهمزة نفسها " (١) .

ذهب القدامى من اللغويين العرب وعلى رأسهم سيبويه إلى أن الهمزة حرف مجهور ، أما المحدثون فقد ذهبوا إلى أن الهمزة ليست مجهورة ، واختلفوا فيما بينهم ، فمنهم من ذهب إلى أنها مهموسة ، ومن هؤلاء د / تمام حسان فقد قال : "وتأتى جهة الهمس فى هذا الصوت ــ أى : الهمزة ــ من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمح

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٤ ، العدد الخامس .

بوجود الجهر فى النطق ، ولكن النحاة والقراء أخطأوا فعدوا هذا الصوت مجهوراً ، وهو أمر مستحيل إستحالة مادية ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة فى أثناء نطقه . " (١)

ومن المحدثين من ذهب إلى أنها لا هى بالمجهورة ولا هى بالمهموسة ، ومن هؤلاء أ / شاده ، د / إبراهيم أنيس ، وقد علل لذلك بقوله : " لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاما فلا نسمع هذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار . " (٢)

وهذه العلة التى ذكرها د / أنيس هى العلة نفسها التى ذكرها شاده فى النص السابق الذى نقلته عنه ، وقد مال إلى هذا الرأى ـ أيضاً ـ كل من المستشرق دانيال جونز (٣) ، ود/ كمال بشر (٤) ، ود / عبد الغفار هلال (٥) وغيرهم (٦).

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٩٧ ، وينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث د / رمضان عبد التواب ص ٥٦ ، ودراسات فى فقه اللغة د / محمد الأنطاكى ص ١٥٨ ، ١٦١ .

(٢) الأصوات اللغوية ص ٩١ .

(٣) ينظر : أصوات اللغة العربية د / عبد الغفار حامد هلال ص ١٥٢ ، واللهجات العربية نشأة وتطورا ص ١٤٩ ، ط / دار الفكر العربى سنة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م.

(٤) ينظر : علم الأصوات ص ٢٨٨ ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٠ م .

(٥) ينظر : أصوات اللغة العربية ١٥٣ .

(٦) ينظر : علم اللغة مقدمة للقارىء العربى د / محمود السعران ص ١٥٧ .

وممن انفرد بالقول بأن الهمزة مجهورة من المحدثين د / محمد حسن جبل ، حيث ذهب إلى أن الهمزة مجهورة ، وأن زمير الجهر يظهر عند انفراج الوترين الصوتين ، فقد قال : " والحق أن زمير الجهر يظهر فى نطق الهمزة شديدة عند انفجار هوائها ، وإن كان لا يستمر . " (١)

أقول : إذا ثبت من خلال الأجهزة الصوتية الحديثة أن الهمزة لا يهتز معها الوتران الصوتيان (٢)، ولا يصدر عنهما معها أى ذبذبة فينبغى أن نسلم بهذه النتيجة التى توصل إليها جمهور المحدثين وهى أن الهمزة لا هى مجهورة ولا هى مهموسة ، والمتقدمون من اللغويين العرب لهم من النتائج العلمية الصحيحة ما يكفينا من أن نتكلف لنفى خطأ وقع منهم فى جزئية من آلاف الجزئيات الصحيحة التى توصلوا إليها ، عفا الله عنهم جميعاً .

ثم تحدث شاده عن السبب وراء وصف سيبويه للهمزة بأنها مجهورة ، وأرجع ذلك إلى أن سيبويه كان يحكم على الهمزة بالجهر بناء على أنها مشكولة بحركة ، أو أنها بعد حركة ، فزمير جهر الحركة أوهم سيبويه أن الهمزة مجهورة ، ولكن هذه العلة ليست خاصة بالهمزة وحدها ، إذ كل الأصوات الصامتة = الحروف إما أن تكون متحركة أو مسبوقة بحركة ، وعلى الرغم من ذلك لم يؤثر هذا الأمر فى الحكم عليها بالجهر أو بالهمس .

ثانياً : عد سيبويه القاف والطاء مجهورتين وهما الآن مهموستان :

يقول شاده : " سيبويه يعد من المجهورة الطاء والقاف ، وفى لفظ عصرنا لا نصيب للأوتار الصوتية فى إنتاجهما " (٣)

نعم وضع سيبويه القاف والطاء فى قائمة الأصوات المجهورة ، فقد قال :" فأما المجهورة فالهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والياء ، والضاد، واللام ،والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاى ،والظاء،والذال،والباء، والميم،والواو فذلك تسعة عشر حرفاً."(٤)

---

(١) أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية ص ١٣٣ .

(٢) هناك آلة تستعمل لإثبات الجهر تعرف بآلة (تسوند بيرجيت) .

(٣) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٣ ، العدد الخامس .

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

وألمح من كلام شاده أنه يعترض على سيبويه فى احتسابه الطاء والقاف مجهورتين وذلك استنادا إلى أنهما الآن مهموستان،وقد سار بعض الباحثين المحدثين فى هذا الركب ـــ أعنى ركب المعترضين على القدماء فى وضعهم القاف والطاء ضمن الأصوات المجهورة ـــ ومن هؤلاء: د/ تمام حسان حيث خطأ القدماء فى جعلهم القاف والطاء مجهورتين ، فعن صوت القاف قال:" لقد مر بنا أن هذا الصوت من أصوات القلقلة،وأن النحاة والقراء قد أخطأوا فى اعتباره مجهوراً."(١)، كما خطأ د / تمام القدامى فى عدهم الطاء صوتاً مجهوراً ، وفسر ذلك بأنهم كانوا ينطقونها طاء مهموزة ، " ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق ، فأصبح عنصر الهمز جزءا لا يتجزأ من نطقها ، هذه الطاء مهموسة قطعاً ؛ لأن إقفال الأوتار الصوتية لا يسمح بوجود الجهر ، ويرجح عندى أن الطاء العربية الفصحى القديمة التى وصفها القراء كانت فى صوتها وفى نطقها هذا الوصف ، ثم لغرابة صوتها على السمع أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة فى دراستهم . "(٢)

الرد على د / تمام :

إن احتمال الخطأ عند القدماء غير وارد فى وصف هذين الصوتين بالجهر ؛ وذلك لأمرين :

أحدهما : أنهم وصفوا النطق الذى كان شائعا فى عصرهم وبيئتهم، وليس لنا أن نقف على هذا النطق إلا من خلال وصفهم ودراستهم ، وهم قد لاحظوا طرائق النطق ، وحللوها تحليلا دقيقا وبدرجة عالية من الصحة والصواب، وليس لنا أن ننكر عليهم تحليلهم ؛ لأنه ليس بين أيدينا أى وسيلة من وسائل نقل نطقهم حتى نحكم عليه بما يخالف آراء اللغويين القدامى ، وليس من المنهج العلمى فى شىء أن نحكم عليهم بالخطأ لمجرد التخمين أو الاحتمال فى تفسير طريقة النطق التى كانت سائدة عندهم . وقد أنكر د / محمد الأنطاكى على د / تمام حسان الطريقة التى فسر بها جهر القدماء للطاء ؛ لأنه " يفسر سبب خطأ النحاة بطرق تخمينية تلفيقية تعتمد على الظن لا على الواقع ، فزعم ـــ كما رأينا ـــ أن النطق المهموز للطاء أوهم النحاة بوجود الجهر فيها ، ولا يستقيم هذا الدليل إلا إذا سلمنا بثلاثة أمور :

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٩٦ .

(٢) السابق ٩٥ .

أولها : أن النحاة أدركوا دور الوترين فى عملية التصويت ، وهذا ما لم يقم عليه أى دليل ، وليس فى كلامهم ما يشير ولو إشارة عابرة إليه .

الثانى : أن يكون النطق المهموز للطاء هو النطق العام للعرب آنئذ ، وليس هذا صحيحا ، ونطق بعض الأفراد اليوم للطاء على هذه الصورة لا يقوم دليلا على أن كل العرب كانت تفعل ذلك قديما .

الثالث : أن يكون الهمسان يوقعان الأذن فى توهم وجود الجهر، وهذا ما لم يثبت علميا أيضا . " (١)

الآخر : لا ينبغى أن نغفل عن عامل التطور فى تغيير نطق الأصوات ، فالأصوات التى ننطقها فى وقتنا الحاضر قد أصابها كثير من التغيير نتيجة تطور نطقها ، ومن هذه الأصوات صوت الطاء ، فقد كانت تنطق قديما بما يشبه صوت الضاد التى ينطق بها المصريون اليوم ، ولا شك أن نطق الضاد عند المصريين الآن مجهور ، ويؤيد ذلك قول د / إبراهيم أنيس : " ليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا فى وصفهم بين صفتى الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت، ولكن الذى أرجحه أن صوت الطاء كما وضعها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين ، ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الآن فى بعض البلاد العربية فى نطقها ، ثم تطور الصوتان فهمست الأولى ، وأصبحت الطاء التى نعرفها الآن ، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها ، فأصبحت تلك الضاد الحديثة " (٢)

وكذلك حدث تطور لصوت القاف ، فقد كان قديما ينطق مجهوراً أما الآن فأصبح مهموساً ، يقول أستاذنا الدكتور / محمد حسن جبل : " أما شبه القاف اللهوية المجهورة الشديدة بقاف القراء الحديثة فأساسه تماثلها فيما عدا أن قاف القراء اليوم مهموسة ، ولذلك

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ص ١٦٥ .

(٢) الأصوات اللغوية ص ٦٣ .

الاتحاد فى المخرج والتماثل فى معظم الصفات (وبخاصة صفة الشدة) جعلت القاف الحديثة شبيها من صدى القاف الفصحى وسهل تطورها عنها ؛ لأنها أخف بسبب همسها " (١)

ومن ذلك يتبين أن احتمال خطأ القدماء فى وصف القاف والطاء بالجهر غير وارد ؛ لأنه ليس من الصواب أن نحكم على القدماء بالخطأ اعتماداً على أن طريقة النطق الحالية تخالف ما وصفه القدماء فيما يتعلق بوصف القاف والطاء بالجهر ، لأن طريقة نطقهم تختلف عن الطريقة التى ينطق بها هذان الصوتان فى الوقت الحاضر ، فهم وصفوا نطقا معينا ليس فى استطاعتنا أن نقف عليه إلا من خلال دراستهم ، أما نطقنا الحاضر فقد حدث له كثير من التغيير نتيجة التطور الذى يحدث فى أثناء نطق الصوت .

---

(١) أصوات اللغة العربية ص ١٦١ .

ثالثاً : عد سيبويه الجيم شديدة وهى الآن بين الشدة والرخاوة .

يقول شاده : " وهناك حرف ــ أيضاً ــ شديد فى لفظ المصريين ، كما أنه كان شديدا فى لفظ سيبويه وهو الجيم ، أما فى اللفظ المعتبر فصيحا عند المتعلمين فى عصرنا فالجيم فيه شديدة فى أولها ورخوة فى آخرها . " (١)

ذهب سيبويه إلى أن الجيم العربية الفصيحة التى كانت تنطق فى عصره حرف شديد ، فقد قال : " ومن الحروف (الشديد) : وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه وهو الهمزة ، والقاف ، والجيم ، والطاء ، والتاء ، والدال ، والياء ، وذلك أنك لو قلت : ألحج ، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك . " (٢)

فهذه الجيم التى وصفها سيبويه بالشدة هى الجيم الفصيحة ، ثم حدث لهذا الصوت تطور نتج عن هذا التطور أن أصبحت فى نطق بعض أهل الشام رخوة ، وتعرف بالجيم الشامية ، وهى تنطق مثل الحرف J فى اللغة الإنجليزية ، أما فى نطق بعض أهل القاهرة فهى صوت شديد ، وتنطق كالحرف g فى اللغة الإنجليزية، وفى لغة بعض أهل الصعيد ينطقونها دالا ، فيقولون فى جيش : ديش ، وعن هذا التطور الذى حدث للجيم الفصيحة يقول د / إبراهيم أنيس : " وتطور هذه الجيم العربية إلى الجيم القاهرية أو إلى الدال فى لهجة بعض أهالى صعيد مصر تطور طبيعى ، ربما تبرره القوانين الصوتية ؛ لأنها فى حالة تطورها إلى الجيم القاهرية لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلا ، فقربت من أقصى الحنك ، وبهذا زادت شدة وانقطع ما يسمى عادة بالتعطيش ، أما فى تطورها إلى الدال فقد اقتربت بمخرجها إلى الأمام ، وبذلك زادت شدة أيضا ، وانقطع تعطيشها . " (٣)

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٠ ، العدد الخامس .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٧٩ .

أما الجيم التى نسمعها من مجيدى القرآن الآن فهى ليست شديدة شدة خالصة ، وليست رخوة رخاوة خالصة ، وإنما هى بين الشدة والرخاوة ، فقد كانت شديدة ثم حدث لها تطور ، نتج عن ذلك التطور أن أصبحت بين الشدة والرخاوة ، حيث إن التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى فى نطق هذه الجيم يحبس مرور الهواء ثم ينفصل وسط اللسان عن وسط الحنك الأعلى انفصالاً يكون أبطأ من الأصوات الشديدة الأخرى ، وهذه الحالة هى التى عبر عنها شاده بقوله: " شديدة فى أولها رخوة فى آخرها " ، وتوصف حينئذ بأنها صوت مركب ، أو وقفة احتكاكية Affricate[1] .

ويمكن تفسير وصف سيبويه للجيم بأنها صوت شديد بأحد أمرين :

أحدهما : أنه وصف الجيم التى كانت تنطق فى وقته وبيئته

الآخر : أنه وصف الجيم التى ينطق بها مجيدو القرآن الآن ولكنه تأثر بالجزء الأول من نطق الجيم ، وهى كما قلنا شديدة فى أولها ورخوة فى آخرها ، وقد أشار د / كمال بشر إلى هذا الاحتمال بقوله : " لعل سيبويه كان متأثرا بالجزء الأول من نطق الجيم المركبة (الفصيحة) فهذا الجزء نوع من الدال ، وفيه وقفة غير تامة ، يكملها احتكاك متصل ليخرج الصوت مركباً ، أو وقفة احتكاكية ، فعده لهذه الجيم شديدة (أى : وقفة فقط) إنما سببه إذا تأثره بالجزء الأول من النطق . " [2]

---

(١) ينظر : التفكير اللغوى بين القديم والجديد د / كمال بشر ص ٣٩٧ ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٥ م .

(٢) السابق ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

رابعاً: عد سيبويه الضاد رخوة وهي الآن شديدة:

يقول شاده عن سيبويه:" إلا أنه عد من الرخوة حرفاً خرج منها بعده فى كثير من اللهجات العربية وهى الضاد ، فإنها ليست الآن من الرخوة إلا فى لفظ من قال : ضرب ـــ مثلاً ـــ بضاد جانبية المخرج " (١)

نعم عد سيبويه من الحروف الرخوة حرف الضاد ، وتبعه فى ذلك كثير من اللغويين ، وتتمثل رخاوة الضاد الفصيحة فى أنها تخرج من بين حافة اللسان وما يحاذيه من الأضراس العليا ، حيث يتسرب الهواء فى أثناء نطقها من بين الأضراس، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله : " والضاد تجد المنفذ من بين الأضراس " (٢).

و الضاد الرخوة لا توجد الآن إلا عند العراقيين وبعض أهل البدو ، أما الضاد التى ننطقها فى مصر الآن ، والتى ينطق بها مجيدو القرآن فى مصر فهى شديدة ، يقول براجشتراسر : " أما الضاد فهى الآن شديدة عند أكثر أهل المدن ، وهى رخوة عند القدماء كما هى الآن عند أكثر البدو ، ومع ذلك فليس لفظها البدوى الحاضر نفس لفظها العتيق ؛ لأن مخرج الضاد عند القدماء من حافة اللسان ، ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر ، ومنهم من يقول من الأيمن ، ومنهم من يقول من كليهما ، فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه."(٣)

والذى يدل على أن الضاد الفصيحة رخوة ـــ كما ذكر سيبويه ـــ هو أن صدى صوتها يشبه صوت الظاء ، أما الضاد الشديدة فلا يشبه صدى صوتها صوت الظاء بوجه من الوجوه ، يقول د / إبراهيم أنيس : " والضاد القديمة كما أتخيلها يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ثم ينتهى نطقه بالظاء ، فهى –إذاً– مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة ، وشيء من رخاوة الظاء العربية ، ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة . " (٤)

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٩ ، العدد الخامس .

(٢) الكتاب ٤ / ١٧٤ .

(٣) التطور النحوى للغة العربية ص ١٠ .

(٤) الأصوات اللغوية ص ٤٩ .

ومن هنا فقد وضع اللغويون كثيرا من المؤلفات التى تفرق بين الضاد والظاء [1]، يقول د / محمد الأنطاكى عن الضاد بأنها : " مثل الظاء تماما ، ما عدا صفة الانحراف التى تشبه فيها اللام ، ولعل هذا هو السبب فى اشتباه اللغويين قديما فى طائفة من الكلمات أهى بالضاد أم بالظاء . " [2]

وقد خرجت الضاد فى اللهجات الحديثة من الأصوات الرخوة إلى الأصوات الشديدة ، وذلك نتيجة تطور حدث فى نطق هذا الصوت ، حيث إن نطق الضاد الفصحى فيه كلفة فى الأداء ؛ حتى قال مكى بن أبى طالب القيسى : " والضاد أصعب الحروف تكلفا فى المخرج ، وأشدها صعوبة على اللافظ " [3]

وقال ابن الجزرى : " والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس فى الحروف ما يعسر على اللسان مثله ،فإن ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقل من يحسنه " [4]

من أجل ذلك تخففت اللهجات المعاصرة من عوامل الثقل التى فى نطق الضاد ، فخروج الهواء من بين الأضراس يمثل ثقلاً فى النطق ، ومن هنا مال المصريون إلى نطقها شديدة ، فهى عندهم تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا ، فهى تشبه إلى حد كبير الدال المفخمة ، أو الظاء ويؤيد ذلك قول د / إبراهيم أنيس : " والذى نستطيع تأكيده هنا هو أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق فى مصر ، وأن هذا التطور كان قد تم فى عهد ابن الجزرى ، أى فى القرن الثامن الهجرى ، فهو يقول فى كتابه التمهيد : إن المصريين وبعض المغاربة ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة " [5]

---

(١) أحصى د/ رمضان عبد التواب عدداً كبيراً من الكتب التى ألفت فى الفرق بين الضاد والظاء : ينظر : مقالة " مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء " ، و المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٧٣ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة ص ١٤٩ .

(٣) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص ١٨٥ ، تحقيق د / أحمد حسن فرحات ، ط / دار عمار سنة ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م .

(٤) النشر فى القراءات العشر ٢١٩/١ ، تح/ على محمد الضباع ، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٥) الأصوات اللغوية ص ٤٩ .

فليس هناك ما يؤخذ على سيبويه فى وصفه الضاد القديمة بأنها رخوة ، وأما كونها الآن شديدة فلا يدل ذلك على أنها كانت كذلك، وإنما كانت رخوة ثم حدث لها تطور فصارت شديدة ، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا التطور ؛ لأنه يتفق مع نظرية السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين[1]، حيث إن الإنسان يميل بطبعه إلى النطق بالصوت الأسهل الذى لا يحتاج إلى جهد عضلى ، ومع مرور الأيام يتحول الصوت الصعب إلى نظيره السهل .

ب- الصوائت :

قبل الشروع فى عرض مآخذ شاده على سيبويه فيما يتعلق بالصوائت أو الحركات، ينبغى أن نعرف ما المقصود بهذا المصطلح ؟ ، وما الصفة التى تميز الحركات ؟ ، وهل للحركات خارج كالحروف ؟ ، يمكن الإجابة عن ذلك بما يلى:

عرف دانيال جونز الصوائت بأنها " أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم ، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه ، أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً " [2]

ومن هذا التعريف يتبين أن الصوائت أو الحركات كلها مجهورة، ومعنى ذلك أن الوترين الصوتيين يهتزان عند خروج أى صوت منها ، ومن اللغويين من زعم أن هناك حركات مهموسة ، واستدل على ذلك بأن اللهجة المصرية الحديثة تنطق الفتحة التى على السين فى نحو : (مقاسَك) مهموسة ، يقول د / عبد الرحمن أيوب : " وفى اللهجة المصرية ـ مثلاً ـ يمكن مقارنة الكلمة : (سُك) بمعنى أقفل، والكلمة (مقاسَك) ، وسنلاحظ أن فتحة السين فى (مقاسَك) مهموسة، بينما هى ـ (سُك) مجهورة ، ومادام هذا الفرق واقعاً فلا بد للواصف من اعتباره ، والقول حينئذ بوجود فتحة مهموسة "[3]

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية ص ٢٣٨ .

(٢) أصوات اللغة د / عبد الرحمن أيوب ص١٥٦ ، والمدخل إلى علم اللغة د / رمضان عبدالتواب ص٩١.

(٣) أصوات اللغة ص١٥٩ .

أما عن مخارج الحركات فإن للحركات مخارج كالحروف ، وقد حدد المحدثون من علماء اللغة هذه المخارج بكل دقة ، ووضحوا وضع اللسان فى فراغ الفم مع كل حركة من الحركات، وبينوا دور الشفتين فى أثناء النطق بالحركات ، وسيأتى بيان ذلك ، وقد أخذ شاده على سيبويه بعض الملحوظات التى تتعلق بالصوائت، وانتقد سيبويه نقدا خفيفا فى معالجته للقضايا التى تتعلق بها ، ويمكن بيان ذلك فيما يلى:

أولاً : لم يحدد سيبويه مخارج الصوائت :

يقول شاده:" و لم يصل سيبويه إلى أن يعين موضع الحركات "(١)

معروف أن الحركات فى اللغة العربية تنقسم قسمين :

أحدهما :الحركات القصيرة ، وهى : الفتحة ، والكسرة ، والضمة

والآخر : الحركات الطويلة ، وهى : ألف المد ، وياء المد ، وواو المد ، وقد لاحظ شاده أن سيبويه لم يعن ببيان مخارج الحركات بالقدر نفسه الذى تناول به مخارج الحروف الصوامت ، بل إن من القدماء من صرح بأن الحركات الطويلة ليس لها مخارج تنسب إليها ، وإنما هى هوائية أو جوفية ، نجد ذلك عند الخليل بن أحمد الفراهيدى، وهو شيخ سيبويه ، فقد قال عن حروف المد الثلاثة بأنها جوفية ؛ " لأنها تخرج من الجوف فلا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ، ولا مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة ، وإنما هى هاوية فى الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف ، وكان يقول كثيراً: الألف اللينة ، والواو والياء هوائية ، أى : أنها فى الهواء " (٢).

ولكن المحدثين حددوا مواضع (= مخارج) الحركات ، وبينوا بدقة الموضع الذى يرتفع من اللسان مع كل حركة من الحركات ، فقد حددوا موضع ألف المد المفخمة وهى التى فى نحو : صالح ، وصام ، وقام ، بأنها تخرج من أقصى اللسان ، حيث ينخفض أقصى اللسان إلى أقصى ما يمكن ، أما إن كانت الألف مرققة وهى التى فى نحو : عالم ، وسالم ، فإنها تخرج من مقدم اللسان ، حيث ينخفض مقدم اللسان إلى أقصى ما يمكن ، وفى كلتا الحالتين ــ أى : مع الألف المفخمة والألف المرققة تكون الشفتان فى وضع معتاد من غير انفراج أو استدارة .

وموضع ياء المد من مقدم اللسان ، حيث يرتفع أقصى ارتفاع نحو الحنك الأعلى من غير حفيف ، فإن حدث حفيف تولدت الياء الصامتة ، وهى التى فى نحو : يقع ، ويدع ، والشفتان مع ياء المد فى وضع الانفراج .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٥ ، العدد السادس .

(٢) العين ١ /٥٧ .

وموضع واو المد من مؤخر اللسان ، حيث يرتفع أقصى ارتفاع ممكن من غير حفيف ، فإن حدث حفيف تولدت الواو الصامتة ، وهى التى فى نحو : وعد ، ووقف ، والشفتان مع واو المد فى وضع الاستدارة . وإذا أردنا أن نعرف موقع هذه الحركات على مربع الحركات المعيارية الـذى وضعه D.jones فيمكن بيان ذلك من خلال الشكل الأتى:

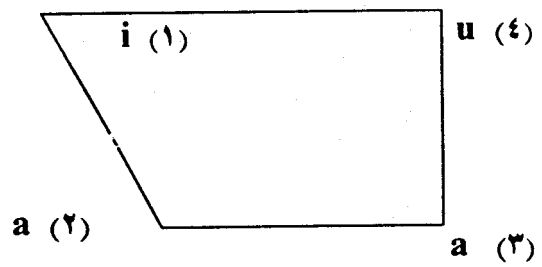

فالألف المرققة تقابل الحـركة المعيارية (a) فى رقم(٢) .

والألف المفخمة تقابل الحركة المعيارية (a) فى رقم (٣) .

وياء المـد تقابل الحـركة المعيارية (i) فى رقـم (١) .

وواو المـد تقـابل الحـركة المعيارية (u) فى رقم (٤)[١].

وقد أشار شاده إلى مواضع الحركات أو مخارجها فقال : " نعم كل حركة لهـا موضـعها ومخرجها كسائر الحروف ، فإنك إذا نطقت بكسرة ترفع مقدم لسانك إلى ما يحاذيه من الحنك ، كما تفعل عندما تنطق بالجيم ، إلا أنك فى إنتاج الكسرة توسع موضعها توسيعا يفـوق اتـساع موضع الجيم بكثير ، وإذا اعتبرت هذا التقييد، يشابه لفظ الفتحة الممالة لفظ الكاف ، ويـضاهى نطق الفتحة الأصلية نطق القاف، ويصح مثل ذلك تقريبا عن الضمة ، إلا أنك تزيد فيهـا ضـم شفتيك"[٢]

ومن ذلك يتبين أن الصوائت لها مخارج أو مواضع تخرج منها، وأحياز تنـسب إليهـا ، وهناك إشارة دقيقة تدل على أن سيبويه كان على معرفة بأن الألف له موضع ينسب إليه ، وقـد

---

(١) ينظر : أصوات اللغة د/ عبد الرحمن أيوب ص ١٥٩ وما بعدها ، ودراسة الصوت اللغوى د / أحمد مختـار عمر ص ١٢٥ وما بعدها ، ومقدمة فى أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوى ص ٨٥ وما بعدها

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٤، ١٥ العدد السادس .

اعترف شاده بذلك ، فقال عن سيبويه : " إلا أنه اقترب من تعيين موضع الفتحة الطويلة حين قال فى (باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات) : والألف إذا خرجت من موضعها (يعنى إذا كانت غير ممالة) استعلت إلى الحنك الأعلى " (١)

وهذه الإشارة غير كافية فى نظر شاده ، وإنما كان يود أن يبين سيبويه مخرج كل حركة من الحركات كما فعل مع الحروف الصوامت .

ثانياً : عد سيبويه الألف صوتاً صامتاً وهى حركة طويلة .

يقول شاده : " وأما الفتحة الطويلة التى يعبر عنها فى الخط العربى بزيادة الألف على الفتحة فيعتبر سيبويه إمالتها فى أكثر الأحوال إمالة للألف ، وإنما أداه إلى هذا الرأى وهمه أن هذه الألف حرف صحيح ، ومن المفهوم أنها ليست إلا علامة خفية يشار بها إلى مد الفتح السابق ، فهالكم غلط أصلح غلطا آخر " (٢)

ذهب سيبويه إلى أن الإمالة فى نحو : عابد وعالم إمالة للألف نحو الياء ، فقد قال : " فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك : عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذاقر وهابيل " (٣) ، ثم قال سيبويه : " فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها " (٤) ، أما شاده فيرى أن الإمالة فى الأمثلة التى ذكرها سيبويه هى إمالة للفتحة الطويلة نحو الكسرة الطويلة ؛ لأن الألف ما هو إلا فتحة طويلة ، وقد أيد بعض المحدثين هذه النظرية التى تشير إلى أن الألف ليست حرفا مستقلا ، وإنما حركة طويلة ناتجة عن زيادة مد الفتحة التى قبلها ، يقول د / إبراهيم أنيس : " فما يسمى بألف المد هى فى الحقيقة فتحة طويلة " (٥)

---

(١) السابق ص ١٥ ، العدد السادس ، وينظر : الكتاب ٤ / ١٢٩ .

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٣ ، العدد السادس .

(٣) الكتاب ٤ / ١١٧ .

(٤) السابق ٤ / ١١٧ .

(٥) الأصوات اللغوية ص ٣٨ .

وقال ــ أيضاً ــ : " ولكن القدماء قد ضلوا الطريق السوى حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد ، فقالوا مثلا : إن هناك فتحة على التاء فى (كتاب) ، وكسرة تحت الراء فى (كريم) ، وضمة فوق القاف فى (يقُول) ، والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها فى تلك المواضع ، فالتاء فى (كتاب) محركة بألف المد وحدها ، والراء فى (كريم) محركة بياء المد وحدها ، والقاف فى (يقول) محركة بواو المد وحدها " (١)

كما أكد ذلك ــ أيضاً ــ د / عبد الصبور شاهين حين قال : " ولا تخفى هنا أن اعتبارهم حرف المد ساكنا اعتبار خاطىء ؛ لأن حرف المد ليس سوى حركة طويلة " (٢) .

وقد اعترض براجشتراسر على النحويين القدماء الذين ذهبوا إلى أن الألف فى نحو : فاعل حرف مد ساكن ، فقد قال عنهم بأنهم : " لم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة ؛ لأنهم كانوا يتأثرون بالخط خلافا للنطق ، فرأوا أنه فى بعض الأحيان لا يكتب شيء ألبتة بين الحروف الصامتة ، نحو : فَعَل ، وأحيانا يكتب بينها حرف من حروف المد ، نحو : فاعِل ، فلم يدروا أن الحالتين سيان فى أن تنطق بعد الفاء حركة فى كلتيهما ، إلا أنها مقصورة فى الأولى وممدودة فى الثانية ، بل ظنوا أنه وإن كانت الفاء متحركة فى كلتا الحالتين أضيف إلى الحركة فى الحالة الثانية شيء غيرها هو الألف " (٣) ، وبالغ براجشتراسر فى ذم هذا المسلك فقال : " وهذه الضلالة هى منبع ضلالات ومشكلات كثيرة نتجنبها نحن إذا فهمنا أن الحركات منها مقصورة ، ومنها ممدودة ، وأن الحركات الممدودة يشار إليها بحروف المد " (٤)

إن اعتبار حروف المد حركات طويلة ليس جديداً على الدرس اللغوى عند العرب ، فإن ابن جنى صرح فى كتابه (سر صناعة الإعراب) بأن الحركات وهى الفتحة ، والكسرة ، والضمة أبعاض لحروف المد وهى : ألف المد، وياء المد، وواو المد ، أقول : وهذه نظرة صحيحة تماماً ،

---

(١) السابق ص ٣٩ .

(٢) أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ط / الخانجى سنة ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م .

(٣) التطور النحوى للغة العربية ص ٥٣ .

(٤) السابق ٥٣ .

وتؤيدها الدراسة الصوتية الحديثة ، والذى يؤخذ على القدامى أنهم جعلوا حرف المد مستقلاً عن الحركة التى قبله ، بدليل أنهم اعتبروه صوتا ساكناً فى التقطيع العروضى .

ثالثاً : لم يعتد سيبويه بالحركات حروفاً .

يقول شاده : " ومن الحوادث التى فسرها سيبويه بحرص المتكلم على البيان ما يذكره فى (باب الوقف فى الهمز) أن بعض العرب لما وقفوا على كلمة (الكلأ) مرفوعة قالوا : هو الكلو ، ويزعم سيبويه أن أصل الواو التى عندهم فى آخر الكلمة هو الهمزة ، كأن المتكلمين حولوا الهمزة إلى واو ليومئوا بها إلى كون الكلمة مرفوعة ، وذلك بعيد من جهتين : إحداهما : أن أصحاب تلك اللهجة لم يكادوا يهتمون بكون الكلمة مرفوعة أو غير مرفوعة ، والأخرى : أن الهمزة يتعثر عليها التحول إلى واو ؛ لأن مخرج الهمزة من الحلق ومخرج الواو من بين الشفتين ، وإنما الأصل الحقيقى لتلك الواو هو الضمة التى فى آخر الكلمة فى الوصل ، ويدل على صحة هذا الرأى أن العرب الذين كانوا يقولون : هو الكلو عند الوقف على الرفع كانوا يقولون : من الكلى فى الجر ، وأظن أن السبب الذى أضل سيبويه فى هذه المسألة هو عدم اعتباره الحركات حروفاً ، فلم يجترىء أن يعزو أصل تغيير حرف إلى حركة " (١)

نعم ذهب سيبويه إلى أن الواو فى لهجة من قال فى (هو الكلأ): هو الكلو ـ فى الوقف ـ بدل من الهمزة فقد قال : " ومن العرب من يقول : هذا هو الكلو حرصا على البيان ، كما قالوا : الوثو ، ويقول : من الكلى يجعلها ياء ، كما قالوا : من الوثى ، ويقول : رأيت الكلا ، ورأيت الخبا ، يجعلها ألفا كما جعلها فى الرفع واواً ، وفى الجر ياء ، وكما قالوا : الوثا ، وحركت الثاء ؛ لأن الألف لا بد لها من حرف قبلها مفتوح " (٢)

وقد عد شاده هذا مأخذا على سيبويه ، حيث إن الواو التى فى آخر كلمة (الكلو) ليست بدلا من الهمرة وإنما هى الضمة التى تحركت بها الهمزة فى حالة الوصل ، فلما وقف على

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٨ ، ١٩ ، العدد السادس .

(٢) الكتاب ٤ / ١٧٩ .

الهمزة حذفت الهمزة وبقيت الضمة التى فى آخر الكلمة، يقول شاده : " وإنما الأصل الحقيقى لتلك الواو هو الضمة التى فى آخر الكلمة فى الوصل "

وقوله: " هو عدم اعتباره الحركات حروفا " ، فإن الذى يفهم من هذه العبارة أن سيبويه لم يعتبر أن هذه الحركات الثلاث حروفا كحروف المد الثلاثة ؛ إذ لو كان معترفاً بذلك ـــ فى رأى شاده ـــ لعلم أن الواو التى فى " الكلو " هى الضمة التى فى آخر كلمة " الكلأ " فى حالة الوصل ، وعليه فلم يعز هذه الواو إلى أصلها ـــ فى رأى شاده ـــ وهو الضمة .

ولى فهم آخر لكلام شاده وهو أنه يريد أن يقول : إن سيبويه لم يعتبر الحركات أصواتاً مستقلة بذاتها وإنما هى تابعة للحروف وعارض يعرض لها .

وهذه مسألة اختلف فيها المحدثون مع القدامى ، حيث إن القدامى يرون أن الحركات تأتى بعد الحروف فى الأهمية بل هن زوائد على حروف الكلمة ، يقول الخليل عن الحركات إنها " زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به"(١) ، كما تناول القدامى موقع الحركة من الحرف هل تأتى بعده أم قبله ؟ ، بمعنى أنها مكملة للحرف وليس مستقلة عنه .

أما المحدثون فيرون أن الحركات لها الأهمية نفسها التى للحروف ، بل إن الحركات أكثر أهمية من الحروف، وأنها تحسب أصواتاً = حروفاً؛ لأن لها مخارج = مواضع ، ولها حظ من الصفات فهى مجهورة ورخوة، ولها رموز كتابية تعرف بها .

وعلى الفهم الأخير هذا يكون معنى كلام شاده : " فلم يجترىء أن يعزو أصل تغيير حرف إلى حركة " ، أى : فلم يشأ سيبويه أن يجعل أصل الحرف وهو الواو التى فى كلمة (الكلو) حركة ، وهى التى كانت فى آخر كلمة (الكلأ) فى حالة الوصل .

وكلام شاده هنا يحتاج إلى مناقشة ؛ لأنه ذكر عدداً من النقاط التى لا أتفق معه عليها ، هذه النقاط يمكن بيانها فيما يلى :

---

(١) الكتاب ٤/٢٤١ ، ٢٤٢ .

الأولى : أنه ذكر أن المتكلمين الذين قالوا فى (هو الكلأ) : هو الكلو فعلوا ذلك ليومئوا إلى أن الكلمة مرفوعة ، وهذا التعليل لا أتفق معه عليه ؛ لأن أصحاب تلك اللهجة حين أبدلوا الهمزة واوا فى المثال المذكور ، وحين أبدلوا الهمزة ياء فى نحو : من الكلى ، وحين أبدلوا الهمزة ألفا فى نحو : رأيت الكلا لم يقصدوا بذلك الإشارة إلى كون الكلمة مرفوعة ، أو مكسورة ، أو مفتوحة ، وإنما فعلوا ذلك ؛ لأن النطق بالهمزة ثقيل على اللسان فأرادوا تخفيف هذا النطق ، فأبدلوا الهمزة حرفاً من جنس حركتها فى حالة الوصل ، فجعلوا الهمزة المضمومة واوا ، وجعلوا الهمزة المكسورة ياء ، وجعلوا الهمزة المفتوحة ألفا ، ويدل على ذلك قول سيبويه : " وهذا وقف الذين يحققون الهمزة ، فأما الذين لا يحققون الهمزة من أهل الحجاز فقولهم: هذا الخبا فى كل حال ؛ لأنها همزة ساكنة قبلها فتحة ، فإنما هى كألف راس إذا خففت" (١)

فقول سيبويه :" وهذا وقف الذين يحققون الهمزة " معناه أن الذين يحققون الهمزة ــ على هذه اللهجة ــ يقفون على الهمزة فى كلمة (الكلأ) ونحوها بإبدالها واواً إذا كانت مضمومة فى حالة الوصل، وبإبدالها ياء إذا كانت مكسورة فى حالة الوصل ، وبإبدالها ألفاً إذا كانت مفتوحة فى حالة الوصل ، وقد أشار ابن الجزرى إلى أصحاب هذه اللهجة ، وذكر أنها تنسب لبنى تميم ، وقيس ، وهذيل ، فقال : " وذهب جماعة من النحاة إلى جواز إبدال الهمزة المتطرفة فى الوقف من جنس حركتها فى الوصل سواء كانت بعد متحرك ، أو بعد ساكن ، وحكوا ذلك سماعا من غير الحجازيين من العرب كتميم ، وقيس ، وهذيل " (٢).

أما قول سيبويه : " حرصاً على البيان " فمعناه : حرصاً على بيان حركة الهمزة قبل الإبدال فى حالة الوصل ، والفرق بين هذا التفسير وبين تفسير شاده هو أن شاده يريد أن يجعل الحرص على البيان هو علة الإبدال ، أما عندى فالعلة هى ثقل الهمزة ، والحرص على البيان هو علة الحرف المبدل سواء أكان واواً ، أو ياء ، أو ألفاً .

---

(١)السابق ٤/١٧٩ .

(٢) النشر ١ / ٤٤٥ .

الثانية : ذكر شاده أن الهمزة يتعثر عليها التحول إلى واو ؛ لأن مخرج الهمزة من الحلق ومخرج الواو من بين الشفتين ، وهو بذلك يشير إلى عدم وجود علاقة صوتية تسوغ الإبدال بين الهمزة والواو ، لكن علماء اللغة العرب أشاروا إلى العلة التى سوغت تخفيف الهمزة وإبدالها إلى واو ، أو ياء ، أو ألف فقد ذكر ابن سيده أن إبدال الهمزة لشبهها بحروف العلة من جهات الحذف ، وجعلها بين بين ، وقلبها إلى حركة ما قبلها ، ومن أجل أنها من أقصى الحلق ، فإذا أبدلت أولا جرى اللسان إلى جهة القدام ، فهذا يطرد عليه الإبدال "(١).

الثالثة : أنه فسر وجود الواو فى لهجة من قال فى (هو الكلأ): هو الكلو بأن هذه الواو هى الضمة التى كانت فى آخر الكلمة فى حالة الوصل ،ولكن هذا التوجيه غريب من عدة وجوه،يمكن بيانها فيما يلى:

الأول : الضمة التى تكون على الهمزة فى آخر الكلمة فى حالة الوصل تحذف عند الوقف على الكلمة ؛ لأن الأصل فى الوقف على الهمزة المتحركة وقبلها متحرك أن يكون بالسكون .

الثانى : إبدال الهمزة واواً من الأمور الشائعة فى اللغة العربية وفى القراءات القرآنية ، ففى القراءات القرآنية وردت قراءة أبى جعفر وورش : (موجلاً) بإبدال الهمزة واواً فى قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾(٢) ، كما وردت عنهما قراءة : (موذن) فى قوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾(٣) بإبدال الهمزة واواً (٤) ، وفى غير القراءات ورد تودة فى تؤدة ، والجون فى الجؤن ، وهذا غلام وبيك فى هذا غلام أبيك(٥)، والفرق بين هذه الحالات وحالة الكلو هو أن فى

---

(١) المخصص ١٣/٢٨٦ لأبى الحسن على بن اسماعيل الأندلسى المعروف بابن سيده ،ط المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت .

(٢) آل عمران من الآية /١٤٥ . .

(٣) يوسف من الآية / ٧٠ .

(٤) ينظر : النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ١/ ٣٩٥ .

(٥) ينظر: الكتاب ٣/ ٥٤٣ .

هذه الحالات قبل الهمزة ضمة ، أما فى الكلو فقبل الهمزة فتحة ، ولا شك أن هـذه الحالـة مستثناة مراعاة لحالة الوقف .

الثالث : القول بأن الواو الموجودة فى الكلو هى الضمة التى كانت فى آخر الكلمة فى حالة الوصل معناه أن الهمزة قد سقطت من الكلمة أو حذفت ، وليس هناك علة لهذا الحذف .

المبحث الرابع

مآخذ تتعلق بتأثير الأصوات بعضها في بعض

الأصوات لا تؤدى وظيفتها إلا إذا كانت ضمن مجموعة من الأصوات تكون كلمة مستقلة ، والكلمة لا يكتمل معناها إلا فى إطار مجموعة من الكلمات التى تكون جملة مفيدة ، ومن هنا فإن الأصوات لابد أن يتصل بعضها ببعض حتى تؤدى الكلمة دورها فى الجملة ، لكن هذا الاتصال قد يجعل الأصوات يتأثر بعضها ببعض ، ومن هذا التأثير ما يحدث من إدغام ، أو إمالة ، أو مخالفة صوتية ، أو إتباع... إلخ ، وهذا التأثير له ضوابط وقواعد وليس اعتباطا من غير مسكة ، هذه الضوابط تختلف باختلاف كل ظاهرة من هذه الظواهر ، وقد أخذ شاده على سيبويه بعض المآخذ التى تتعلق بتأثير الأصوات بعضها فى بعض ، وهذه المآخذ يمكن أن نتفق معه فى بعضها ، والبعض الآخر يحتاج إلى مناقشة وتحليل حتى نصل إلى الوجه الصواب فيما عرضه الأستاذ المحاضر ، ويمكن بيان ذلك فيما يلى:

أولاً: يفهم من كلام سيبويه أن تأثير الأصوات بعضها فى بعض يكون عن قصد وتعمد

يقول شاده : " سيبويه يعزو كل تغيير فى لفظ كلمة أو كتلة كلمات إلى سببين : التماس الخفة يعنى حاجة المتكلم إلى تخفيف النطق ، والحرص على البيان وكلتا هاتين النزعتين موجودتان حقيقة، إلا أننا نخالف سيبويه فى كيفية اعتبارهما ، وذلك أنه يعتبرهما كعاملين يشعر الناطق بوجودهما ، كأنه إذا صار يقدم أداة التعريف على كلمة(الشمس) يقول لنفسه : خذ بالك الشين هى من مخرج اللام، فيلزم أن تدغم اللام فيها ، ونعلم الآن أن حوادث النفس مثل المومىء إليه تحصل فى أغلب الأحوال والمتكلم لا يشعر بها " (١)

لا شك أن التغيير الذى يحدث نتيجة تأثير الأصوات بعضها فى بعض يكون من أجل تخفيف النطق ، وسهولة الأداء ، ومراعاة البيان والوضوح فى النطق ، وذلك يحدث من غير قصد أو تعمد ، وإنما يكون بطريقة لا إرادية تميل إليها الطباع رغبة فى السهولة وطلباً للوضوح والبيان ،

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ١٦، العدد السادس .

وقد عرفت هذه الطريقة فى الدراسات الصوتية الحديثة باسم (نظرية السهولة) ، ومفاد هذه النظرية أن الإنسان يميل إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى ، واستبدال السهل من الأصوات بالصعب الذى يحتاج إلى مجهود عضلى أكبر ، ومن رواد هذه النظرية(ماكس موللر)، وعن أثر نظرية السهولة فى تطور الأصوات يقول د / إبراهيم أنيس : " والحقيقة أن أنصار هذه النظرية قد أوضحوا لنا بما لا يدع مجالا للبس والإبهام أن هذا التطور غير إرادى ، فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم ، ودون أن يعمد إليه قصدا ، فالمرء فى الحقيقة حين ينطق بالصوت السهل بدلا من الصعب يخيل إليه دائما أنه ينطق بالصوت الأصلى ، دون تغيير فيه ، فالعملية إذا لا شعورية ، وهى لهذا بعد تكرارها تترك أثرا فى تطور كثير من أصوات اللغات " (١) .

ومن ذلك يتبين أن التماس المتكلم السهولة فى النطق والحرص على البيان لا يكون عن قصد وتعمد ، بل إن المتكلم لا يستشعر بوجود الصوت الأصلى ، وإنما يشعر أنه ينطق بالصوت الأصلى على الرغم من أنه يكون قد استبدل صوتا بصوت آخر .

ولا شك أن الطريقة التى فسر بها شاده عملية الإدغام فى نحو (الشمس) فيها ضرب من الخيال ، ولا مجال للخيال فى الدراسات الصوتية .

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٢٣٦ .

ثانياً : لم يدرك سيبويه أثر الحركة فى تحويل الصوت الصامت .

يقول شاده : " فمن إمالة الأحرف ــ إن كنتم تسمحون لى بهذه العبارة ــ تحويل الضمير المتصل للمخاطبة من (كِ) إلى (ش)[1] فى لغة كثير من تميم ، وناس من الأسد كما يقول سيبويه، وذلك مثل : إنَّش بدلا من إنَّكِ ، أو مالش بدلا من مالكِ ، وقد فسر هذا الحادث الغريب ــ حسب عادته ــ بقصد المتكلم إلى تقوية الفصل بين المذكر والمؤنث ، والغالب عندنا أن الكسرة اللاحقة لكاف المخاطبة أثرت فى لفظ الكاف وحولتها إلى شين ، أو شيء يشبه الشين"[2]

هناك خلاف بين سيبويه وبين المحدثين فى تفسير إبدال الكاف شينا فى (إنَّكِ) وما يماثلها ، فسيبويه يرى أن سبب هذا الإبدال يرجع إلى تقوية الفصل بين المذكر والمؤنث ، حيث إن مخاطبة المذكر تكون بفتح الكاف ، ومخاطبة المؤنث تكون بكسرها ، فأرادوا تقرية الفصل بين هذين الأمرين ، وذلك بتحويل أو إبدال الكاف شينا ، يقول سيبويه : " فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ، وذلك أنهم أرادوا البيان فى الوقف ؛ لأنها ساكنة فى الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث ، وأرادوا التحقيق والتوكيد فى الفصل ؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة " [3]

و يفهم من كلام سيبويه أنه يتحدث عن إبدال الكاف شينا فى حالة الوقف ؛ لأنها هى التى يلتبس فيها مخاطبة المذكر ومخاطبة المؤنثة ، ويكون الفصل بين الحالتين بالحرف ، فمخاطبة المذكر تكون بالكاف ، ومخاطبة المؤنثة التى تكون بالشين ، ولكنه عاد ومثل بمثال أبدلت فيه الكاف شينا فى حالة الوصل فقال : " إنشِ ذاهبة ، ومالشِ ذاهبة ، تريد : إنَّكِ ، ومالكِ " [4]

---

(١) يرى شاده أن الإمالة نوع من تحويل الحروف ، ويعتبرها تحويلا ناقصا ، وقد صرح بذلك فى قوله : " ولو اعترض أحد بأن هذا من الإمالة ، وذلك من التحويل أجبناه أن التحويل ليس إلا إمالة كاملة أو الإمالة تحويل ناقص "

علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢٢ ، العدد السادس .

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢١ . العدد السادس .

(٣) الكتاب ٤ / ١٩٩ .

(٤) السابق ٤ / ١٩٩ .

فكان من الممكن أن يمثل بمثال تبدل فيه الكاف شينا فى حالة الوقف ، كأن يقول ـــ مثلا ـــ مررت بش ، أو أعطيتش .

وربما يقصد أن الكاف تبدل شينا فى حالة الوقف للفصل بين المذكر والمؤنث ، ويجوز أن تبدل شينا فى حالة الوصل ـــ أيضاً ـــ وبهذا المعنى يستقيم كلام سيبويه ، وقد كانت عبارة ابن جنى واضحة الدلالة على هذا المعنى حين قال : " ومن العرب من يبدل كاف المؤنث فى الوقف شينا ؛ حرصاً على البيان ؛ لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى فى الوقف ، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا فقالوا:عليش ، ومنش ، ومررت بش ، ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا "(١).

وقد ذهب شاده إلى أن الكسرة قد أثرت على الكاف ، فكانت الكسرة سببا فى تحويل الكاف إلى الشين، وقد تناول بعض المحدثين ذلك عند دراسة (تأثير الحركة على الصامت) . ومن أمثلة تأثير الحركة على الصامت ما ذكره د / رمضان عبد التواب، حيث قال : " ومثل ذلك حدث للكاف فى بعض اللهجات القديمة فى الظاهرتين المعروفتين عند القدماء بالكشكشة والكسكسة ؛ إذ تتأثر الكاف فى لغات ربيعة ومضر وبكر القديمة بالكسرة التى تأتى بعدها ، فتتحول إلى صوت مزدوج من مقدمة الفم ؛ ليتوافق مع الكسرة وهو صوت : (تش ، فى الكشكشة عند ربيعة ومضر فى مثل : (تشيف حالك) ؟ ، وصوت (تس) فى الكسكسة عند بكر ، فى مثل : (تسيف حالك) ؟ وقد عمم القياس اللغوى هذا التطور فى اللهجات العربية الحديثة مع كل كاف ولو كانت مفتوحة أو مضمومة "(٢)

فهناك اختلاف بين تفسير سيبويه وتفسير شاده لإبدال الكاف شينا فى (إنك) وما يماثلها ، فسيبويه يرى أن سبب هذا الإبدال هو الفرق بين المذكر والمؤنث ، بينما يرى شاده أن سبب ذلك يرجع إلى أن الكسرة قد أثرت على الكاف فأدت إلى تحويلها أو إبدالها إلى الشين ، أو صوت مزدوج يشبه الشين .

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢٠٦/١، ٢٠٧ .

(٢) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ص ٥٢ ، ط / مكتبة الخانجى سنة ١٤١٠ هـ ـــ ١٩٩٠ م .

فمن اللغويين من يرى أن الكاف فى الأمثلة التى ذكرها سيبويه قد أبدلت شينا ، ومنهم من يرى أنها ليست شينا خالصة ، وإنما هى صوت مركب من الجيم والشين ، أو التاء والشين[1]، وقد أشار شاده بإيجاز إلى هذين الرأيين حين قال : " تبدل شينا ، أو شيء يشبه الشين " .

ومن الباحثين من ذهب إلى أن قلب الكاف المكسورة شيناً يتفق وقانون الأصوات الحنكية (palatal law) الذى لاحظه بادوان دى كورتناى (Baudouinde dé Courtenay) سنة ١٨٩٣م وقال به -أيضاً - كارل بروكلمان ، وهذا القانون يتمثل فى أن أصوات أقصى الحنك – والكاف منها – تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين يليها صوت لين أمامى (كالكسرة) حيث إن صوت اللين الأمامى يجتذب أصوات أقصى الحنك فتنقلب إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك[2] .

تعقيب :

كل الأراء التى ذكرت تتهاوى أمام النقد اللغوى ولا يستقيم الاستدلال بها على تفسير تلك الظاهرة ، إذ لو كان الأمر كما ذهب بروكلمان ومن رأى رأيه من الباحثين فلماذا اقتصر الأمر على كاف المخاطبة المؤنثة ولم يشمل كل الكافات المكسورة ، ومن شأن القوانين الصوتية – كما نعلم – الاضطراد والشمول[3].

ولو كان الأمر كما ذكر سيبويه وهو الحرص على البيان فى حالة الوقف لما اقتصر الأمر على الكاف فهناك – أيضاً – التاء فى (أنتِ) ، و (فعلتِ) ، حيث تذهب كسرتها فى حالة الوقف ، فلم لم تبدل – إذن – بحرف آخر حرصاً على البيان ؟[4]

---

(١) ينظر : لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر د/ عيد محمد الطيب ص ١٠١ ، ط / المطبعة الإسلامية الحديثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

(٢) ينظر : فى اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ص ١٢٣ ، ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٥م . ولغة تميم دراسة تاريخية وصفية د/ ضاحى عبد الباقى ص ٧٧ ، ٧٨ ، ط الهئية العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(٣) ينظر : الفصحى ولهجاتها دراسة تاريخية مقارنة ص ١٦١ بتصرف .

(٤) السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ بتصرف .

و لو كان الأمر كما يقول شاده وهو أن الكسرة قد أثرت على الكاف فأدت إلى تحويلها أو إبدالها شينا لكان هذا الإبدال خاصا بحالة الوصل وهى التى تكون فيها كسرة بعد الكاف ، ولمتنع ذلك فى حالة الوقف ، لعدم وجود الكسرة التى هى سبب للتحويل أو الإبدال ، ولكن حدوث هذا الإبدال فى حالتى الوقف والوصل يدل على أن هناك علة أخرى غير وجود الكسرة هى التى أدت إلى هذا الإبدال .

والرأى الذى نرتضيه فى تفسير هذه الظاهرة هو أن الشين فى الأمثلة التى ذكرها سيبويه وشاده أصلية وليست مبدلة من الكاف ، وهذا الاستعمال كان موجوداً فى اللغة العربية القديمة يقول د/ عبدالفتاح البركاوى عنه بأنه " استعمال لغوى قديم كان يستعمل الشين أصلاً للتعبير عن ضمير المخاطبة المؤنثة ، وقد ظل هذا الاستعمال موجوداً كأثر من آثار التأثر باللغة العربية القديمة ، وهى خاصة لهجية للقبائل التى تنتمى للجنوب سواء ظلت به أم هاجرت إلى الشمال "(١)

ثالثاً : مذهب سيبويه أن الأصل فى الإدغام أن يكون فى حروف الفم واللسان لكثرتها

يقول شاده : " يصح بلا نزاع أن حروف الفم واللسان أكثر عددا من حروف الشفتين والحلق ، ويصح ــ أيضا ــ أنها تشترك فى الإدغام أكثر من سائر الحروف إلا أننا لسنا بمقتنعين أن الواقع الثانى نتيجة الأول ، فإنه ليس من عادة آلات النطق أن تهتم بالإحصائيات ، بل من عادتها أنها أكثر ما تنطق أكثرما تتحرك وتتقلب ، ومن المعلوم أنه ليس لآلة من آلات النطق استطاعة على التحرك والتقلب تعادل انطلاق اللسان والجزء المؤخر من الحنك "(٢)

يرى سيبويه أن الأصل فى الإدغام أن يكون فى حروف الفم واللسان ، وذلك لأن أكثر الحروف تخرج من هذا الموضع ، يقول سيبويه : " وإنما أصل الإدغام فى حروف الفم واللسان ؛

---

(١) ينظر : السابق ص ١٦٤ بتصرف .

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢٤ ، العدد السادس .

لأنها أكثر الحروف " (١) ، ويقول فى موضع آخر : " وأصل الإدغام لحروف الفم ؛ لأنها أكثر الحروف " (٢)

وسيبويه على حق هنا فى أن حروف الفم واللسان هى أكثر الحروف حيث يخرج من هذا الموضع سبعة عشر حرفا ، ويخرج من الحلق ستة ، ومن الشفتين أربعة ، وقد اعترض شاده على العلة التى ذكرها سيبويه والتى من أجلها كان الإدغام فى حروف الفم واللسان أكثر من سائر الحروف وهى كثرتها ، ورأى شاده أن العلة وراء كون الإدغام أصلا فى حروف الفم واللسان هى أنها أكثر شيوعا فى الاستعمال ، فأصوات الفم واللسان يكثر استعمالها عن أصوات الحلق والشفتين ، وقد عرفت هذه النظرية فى الدراسات اللغوية باسم (نظرية الشيوع)، ومن رواد هذه النظرية Vilhelm thomsen ومفاد هذه النظرية أن الأصوات التى يشيع استعمالها تكون عرضة للتطور أكثر من غيرها ، يقول د / إبراهيم أنيس : " فالصوت اللغوى إذا شاع استعماله فى الكلام كان عرضة لظواهر لغوية كان القدماء يسمونها حينا إبدالا ، وحينا آخر إدغاما " (٣)

رابعاً : لم يلاحظ سيبويه تبعيد الحروف إلا فيما ندر .

يقول شاده : " إذا كنا لم نذكر لغاية الآن إلا تقريب الأصوات من بعضها وهو ما يسميه علم الأصوات عند الغربيين Assimilation ، فليس معناه أن عكس ذلك أعنى تبعيد الحروف عن بعضها لا يوجد فى العربية إلا أن سيبويه على ما رأى لم يلاحظ لتبعيد الحروف إلا موقعا واحدا وهو تخفيف همزة عند التقاء همزتين كما ورد فى بيت حكاه سيبويه :

كُلُّ غَرَّاءَ اذا ما برزتْ تُرْهَبُ العينُ عليها والحَسَدْ (٤).

---

(١) الكتاب ٤ / ٤٤٨ .

(٢) السابق ٤ / ٤٥٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٢٣٨ .

(٤) البيت من الرمل وهو من الأبيات مجهولة القائل .

والغراء : البيضاء ، ومعنى برزت : ظهرت للناظرين .

ينظر : الكتاب ٣ / ٥٤٩ ، وشرح المفصل ٩ / ١١٨ .

وهناك موقع ثان لاحظ فيه سيبويه شيئا من التبعيد إلا أن ذلك التبعيد لا يختص بحرفين بل بحركتين وهو أن الضمير المتصل الغائب تقصر حركته بعد حركة طويلة ، وتمد (أو بالحرى تبقى ممدودة) بعد حركة قصيرة ، مثل (أبوه) حذاء (أمهو) " (١) .

أقول : تقريب الأصوات بعضها من بعض أو ما يعرف بالمماثلة باب واسع فى اللغة العربية ، بل وفى كثير من اللغات فالإمالة تقريب، والإدغام تقريب ، والإتباع تقريب ... إلخ .

أما عكس ذلك وهو ما أسماه شاده بتبعيد الأصوات أو ما يعرف بالمخالفة الصوتية Dissimlation (٢) .

فهذه الظاهرة موجودة فى لغتنا العربية ولكنها أقل حدوثا من المماثلة ، وظاهرة المخالفة تعنى : " أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين " (٣) .

أو هى : " تغير أحد الصوتين المثلين فى كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف " (٤)

وقد تحدث المخالفة بين الأصوات المتقاربة " فإذا ما حدث والتقى صوتان متحدان فى المخرج أو متقاربان فيه فإن أحد هذين الصوتين قد يتحول إلى صوت آخر (بعيد فى مخرجه من الصوت الثانى) تحقيقاً لظاهرة المخالفة ، وأمثلة هذا النوع كثيرة جداً فى اللغات السامية شقيقات

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢٥ ، العدد السادس .

(٢) هذا المصطلح يتكون من جزئين أحدهما dis ، ومعناه السلب ، أو الإزالة ، والآخر : assimilation، ومعناه المماثلة .

ينظر : ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو العجم العربى د / أحمد عبد المجيد هريدى ص ١٧ ، ط / مكتبة الزهراء .

(٣) الأصوات اللغوية ص ٢١٠ .

(٤) ظاهرة المخالفة الصوتية ص ١٥ .

العربية ، ومنه فى العربية – أيضاً – قدر غير يسير،ومن ذلك– مثلاً– تحول اللام إلى نون ؛ نظراً لالتقائها بالراء فى نحو رِفَلّ > رِفَنّ ،إسماعيل > إسماعين ، جبرائيل > جبرائين "(١)

وأشهر المصطلحات التى عرفت بها هذه الظاهرة هو مصطلح " المخالفة الصوتية " ، وبعض المؤلفين وضع لها مصطلحات أخر ومنها : " تبعيد الأصوات"، وقد فعل ذلك شاده فيما نقلته عنه ، ومنها " المفارقة "(٢) ، و "التخالف"(٣)

والغرض من المخالفة الصوتية هو تخفيف النطق، وسهولة الأداء، يقول د / رمضان عبد التواب : " والسبب فى المخالفة من الناحية الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلى فى النطق بهما فى كلمة واحدة ، ولتيسير هذا المجهود العضلى يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التى لا تتطلب مجهودا عضليا "(٤).

وتنقسم المخالفة الصوتية ــ باعتبار الاتصال والانفصال ــ إلى قسمين:

أحدهما : المنفصل وهو : الذى يحدث بين حرفين بينهما فاصل فى كلمة واحدة نحو : اخضوضر أصلها اخضرض ، فأبدلت الراء الأولى واواً (٥) .

الآخر : المتصل وهو : الذى يحدث بين حرفين متصلين فى كلمة واحدة نحو: دساها أصلها دسسها فأبدلت السين الثانية ألفاً .

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوى ص ١٥٣ .

(٢) ينظر : اللغة لفندريس ص ٢١٠ ، ترجمة / عبد الحميد الدواخلى ، و محمد القصاص ، ط / مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

(٣) ينظر : التطور النحوى للغة العربية ص ٣٣ .

(٤) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ص ٦٤ .

(٥) ينظر : مقدمة فى أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوى ص ١٥١ .

وتقع المخالفة الصوتية بين الصوامت كما تقع بين الصوائت ، وقد أشار شاده إلى هذين النوعين من المخالفة ، ومثل لكل نوع بمثال واحد ، فقد مثل للنوع الأول بالمخالفة بين الهمزة الأولى والهمزة الثانية فى قول الشاعر :

كُلُّ غَرَّاءَ اذا ما برزتْ تُرْهَبُ العينُ عليها والحَسَدْ

حيث إن الهمزة الثانية قد سهلت إلى همزة " بين بين " كما يقول القدماء ، أو حذفت الهمزة الثانية وبقيت حركتها كما يقول المحدثون .

وقد أشار المستشرق الألمانى براجشتراسر إلى هذه المخالفة التى تحدث بين همزتين متجاورتين فقال : " وهذا الباب من تخفيف الهمز كله باب من أبواب التخالف المذكور آنفا ، ضد التشابه ، وذلك أن سبب الحذف والإبدال فيه توالى حرفين متماثلين ، لكن يختلف هذا التخالف عن الأنواع الأخرى بأن نتيجته تسهيل النطق أكثر مما لو حذف أو أبدل أى حرف آخر ؛ إذ إن الهمزة أصعب إخراجا من غيرها من الحروف ، فينبغى لإخراجها تغليق فم الحنجرة ، وهو مفتوح فى غيرها ، فينقطع الزمير المتواصل الخروج أثناء الكلام " (١)

أما النوع الآخر فقد مثل له شاده بالمخالفة بين تقصير حركة الضمير المتصل الغائب فى نحو " أبوه " وبين الحركة الطويلة التى قبله ، فإن الأصل فى الضمير الغائب المتصل أن تمد حركته كما فى " أمهو " ، أما فى " أبوه " فإنها قصرت ؛ لأنها وقعت بعد حركة طويلة، وهى واو المد.

وقد أطلق د / رمضان عبد التواب على هذا النوع من المخالفة اسم (المخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية) قال : " ومن المخالفة الصوتية كذلك ، ما يسمى بالمخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية ، ومن أمثلة ذلك ما يحدث لحركة ضمير المفرد الغائب فى العربية الفصحى ، فالأصل فى هذه الحركة هو الضمة الطويلة ، وتحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله ـــ كما عرفنا من قبل ـــ وتحتفظ العربية الفصحى بالطول فى حركته بعد المقاطع القصيرة ، مثل : له = لهو ، وبه =

---

(١) التطور النحوى للغة العربية ص ٤٢ .

بهى ، وغير ذلك ، كما تقصر حركته فى العربية بعد المقاطع الطويلة عن طريق المخالفة الكمية بين المقاطع فيقال ــ مثلاً ــ فيه بدلا من:فيهى،ومنه بدلا من منهو، وغير ذلك " (١).

أما ما لم يذكره شاده من أمثلة المخالفة عند سيبويه فقد جاء ذلك فى كتاب سيبويه تحت عنوان : " باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد " (٢)

والأمثلة التى ذكرها سيبويه فى هذا الباب أبدل فيها ثانى المتماثلين إلى الياء للتخفيف ، ومن ذلك ما يلى :

١ ــ تسَّريت : أصلها من السر ، فكان ينبغى أن يقال : تسررت براءين ، فأبدل مكان الراء الثانية ياء للمخالفة بين الصوتين المتماثلين .

٢ ــ تظَّنيت : أصلها من الظن ، فكان ينبغى أن يقال : تظننت بنونين ، فأبدل مكان النون الثانية ياء .

٣ ــ تقصَّيت : أصلها من القص أو القصة ، فكان ينبغى أن يقال : تقصصت بصادين ، فأبدل مكان الصاد الثانية ياء ... إلخ .

فهذه الأمثلة وغيرها نوع من أنواع المخالفة الصوتية أو تبعيد الحروف ، ولم يقتصر الأمر على الأمثلة التى ذكرها شاده ، ومن ذلك يتبين أن سيبويه قد تناول قضايا لغوية لم يكشف عنها اللثام إلا فى عصور متأخرة مما يدل على أنه كان رائدا فى وضع أسس ومبادىء التحليل اللغوى للغة العربية .

خامساً : لم يدرك سيبويه أثر المقطع والنبر فى الوقف .

يرى شاده أن تفسير حوادث الوقف ــ على حد تعبيره ــ عند سيبويه تفسيرا لغويا أمر صعب وعسير ، وعلل ذلك بقوله : " لأن سيبويه لم يدرك شيئين لهما نصيب خصوصى فى إحداث

---

(١) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ص ٦٧ .

(٢) ينظر : الكتاب ٤ / ٤٢٤ .

هذه الحوادث، أحدهما : الضرب أو الضغط يعنى إخراج جزء من أجزاء الكلمة أو الجملة بتقوية النفس ، وهو ما يسمى Strss أو accent intensited فى اللغات الأوربية ، والثانى : المقطع ... وهو عندنا كل جزء من أجزاء الكلمة يجوز الوقف عليه بدون تشويه الكلمة ... وفيما يحكيه سيبويه من حوادث الوقف شيء يحتاج تفسيره غاية الاحتياج إلى معرفة ماهية المقطع والعمل بها ، وهو نقل حركة الحرف الأخير إلى الحرف الذى قبله كقولك : " بكر " إلا أن سيبويه لم يدرك معنى المقطع فلم يصل لهذا الحادث إلى تفسير مقنع " (١)

الكلام هنا ذو شقين :

أحدهما : لم يدرك سيبويه أثر المقطع فى حدوث الوقف .

الآخر : لم يدرك سيبويه أثر النبر فى حدوث الوقف .

أما فيما يخص الشق الأول فإن دراسة المقطع بالمفهوم الذى ذكره شاده ثمرة من ثمار الدراسة الصوتية الحديثة ، وعلى الرغم من ذلك فإن لهذه الدراسة جذورا فى الدراسات الصوتية القديمة ، وفى دراسة العروض ، وفى دراسة البلاغة العربية .

ففى مجال الدراسة الصوتية نجد أنهم قسموا الأصوات إلى قسمين : الصوامت والصوائت ، فالصوامت تمثل قاع المقطع ، والصوائت تمثل قمة المقطع الصوتى ، وبذلك يمكن تمييز كل جزء من أجزاء الكلمة ، ويمكن أن نعرف دور الحركة فى تحديد المقطع ، يقول مريوباى عن المقطع بأنه : " قمة إسماع Peak of sonority غالبا ما تكون صوت علة مضافا إليها أصوات أخرى عادة ــ وليس حتما ــ تسبق القمة أو تلحقها أو تسبقها وتلحقها " (٢) .

كما أشار اللغويون القدامى إلى امتناع اجتماع أربع حركات متواليات فى كلمة واحدة ، وكراهية ذلك فيما هو كالكلمة، يقول سيبويه: " ليس حرف فى الكلام تتوالى فيه أربع متحركات " (٣) .

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢٥ ،٢٦ العدد السادس .

(٢) أسس علم اللغة ص ٩٦ ، ترجمة د / أحمد مختار عمر ، ط / عالم الكتب سنة ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .

(٣) الكتاب ٤ / ٢٨٩ .

ومن ذلك يتبين ميل اللغة العربية إلى المقطع الساكن ، وإلى هذا المعنى يشير د / إبـراهيم أنيس فيقول : " وقد أشار النحاة من القدماء إلى ميل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة حين قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات فى الكلمة الواحدة ، وكراهته فيما هو كالكلمة ، ومعنى قولهم هذا كما يعبر عنه المحدثون أن اللسان العربى ينفر من توالى أربعة مقاطع متحركة " (١) .

وفى مجال الدراسة العروضية نجد أنهم جعلوا التفعيلة العروضية مكونة من حركة وسكون ، وصنفوا هذه الحركات والسكنات إلى أسباب وأوتاد ، فالسبب ينقسم إلى قسمين أحدهما سـبب خفيف ويتكون من حركة وسكون ، والآخر : سبب ثقيل ويتكون من حركتين ، والوتد يتكـون من حركتين وسكون ، وينقسم إلى قسمين : أحدهما : الوتد المجموع ، والآخر : الوتد المفروق ، كل ذلك يعتد به فى المقاطع كما يعتد به فى العروض .

كما نجد أنهم منعوا توالى خمسة أحرف متحركة فى البحور العروضية ، يقول سيبويه : " لا يتوالى فى تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة " (٢)، وهذا ـــ أيضاً ـــ يعتد به فى دراسة المقـاطع العربية.

وفى مجال الدراسة البلاغية نجد أنهم فى أثناء حديثهم عن فصاحة الكلمة تحدثوا عن شروط فصاحتها وذكروا منها ألا تتوالى فيها الحركات (٣) .

هذه الشذرات هى التى وردت عن اللغويين القدامى ، أما أنهم عرفوا المقاطع بالصورة التى نعرفها الآن فهذا لم يقل به أحد ، وعليه فإن سيبويه لم يتناول المقطع بالدراسة المفصلة المعروفة لدينا ، ولم يقصر فى ذلك ؛ لأن اللغة العربية تصنف بأنها لغة غير مقطعية ، أى أن المقاطع لا تفرق فيها بين المعانى كما يحدث ذلك فى اللغات المقطعية .

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٩٤ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٧ .

(٣) انظر : سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى ص ٧٨، شرح الشيخ / عبـد المتعال الصعيدى ، ط / مكتبة محمد على صبيح سنة ١٣٨٩ هـ ـــ ١٩٦٩ م ، والطراز المتضمن لأسـرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تأليف / يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى ص ١١٠ ، ط / دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ سنة ١٤٠٢ هـ ـــ ١٩٨٢ م.

أما ما ذكره شاده من أن دراسة الوقف تحتاج إلى معرفة المقاطع فإذا سلمنا بحتمية ذلك فليس لنا أن نرمى بالتقصير السالفين من علماء اللغة ؛ لأن هذا النوع من الدراسة لم يكن معروفا لديهم كما هو معروف لنا الآن .

أما المثال الذى ذكره شاده واستدل به على أن سيبويه لم يكن يدرك دور المقطع فى الوقف فهو مثال : بَكُر بَكْر فإن سيبويه فسره بأن حركة الحرف الأخير نقلت إلى الساكن قبله لئلا يلتقى ساكنان إذا وقفنا على كلمة (بَكْرْ) ، يقول سيبويه : " (هذا باب الساكن الذى يكون قبل آخر الحروف فيحرك ؛ لكراهيتهم التقاء الساكنين) ، وذلك قول بعض العرب : هذا بَكُر ، ومن بَكِر ، ولم يقولوا : رأيت البَكَر ؛ لأنه فى موضع التنوين ، وقد يلحق ما يبين حركته ، والمجرور والمرفوع لا يلحقهما ذلك فى كلامهم "(١)

أما شاده فيرى أن الذى أدى إلى نقل الحركة إلى الساكن قبلها هو ميل اللغة العربية إلى المقطع المفتوح ، والذى يتكون من : صامت + صائت قصير ، أما إذا لم تنقل حركة الحرف الأخير وحذفت فى حالة الوقف فيترتب على ذلك أن يكون المقطع مغلقا ، ويتكون من: صامت + صائت قصير + صامت + صامت ، وهذا المقطع يقل وجوده فى اللغة العربية ، ولا يكون إلا فى حالة الوقف.

أما الشق الآخر وهو أن سيبويه لم يدرك أثر النبر فى حدوث الوقف فإذا نظرنا إلى كلام سيبويه فإننا نجده يذكر كلمة (النبرة) فى معرض حديثه عن مخرج الهمزة حيث يقول عنها بأنها :

" نبرة فى الصدر تخرج باجتهاد "(٢) ، والحقيقة أن سيبويه لم يقصد بهذه الكلمة أعنى (نبرة) أكثر من معنى الضغطة أو العصرة ، ولا يقصد بها المصطلح الذى نعرفه الآن والذى عرفه

---

(١) الكتاب ٤ / ١٧٣. .

(٢) الكتاب ٣ / ٥٤٨ .

شاده بأنه : " إخراج جزء من أجزاء الكلمة أو الجملة بتقوية النفس " (١) ، أو كما عرفه د / تمام حسان بأنه : " وضوح نسبى لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع فى الكلام " (٢)

وقد اختلف اللغويون فى وجود النبر فى اللغة العربية الفصحى ، فمن اللغويين من يرى أن اللغة العربية الفصحى قد عرفت النبر إلا أننا لا نعرف مواضعه (٣) ؛ لأن اللغويين القدامى لم يتناولوا هذا النوع من الدراسة بالتفصيل كما هو معروف لدينا الآن ، ومن اللغويين من أنكر أن تكون اللغة العربية الفصحى قد عرفت النبر ، يقول براجشتراسر : " فلا نص نستند عليه فى إجابة مسألة : كيف كان حال العربية الفصيحة فى هذا الشأن ؟ ومما يتضح من اللغة العربية نفسها ومن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها أو لم ي يوجد ، وذلك أن اللغة الضاغطة كثيرا ما يحدث فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة ، وقد رأينا أن كل ذلك نادر فى اللغة العربية " (٤) .

وقد رد د / رمضان عبد التواب على رأى براجشتراسر فقال : " إننا نشك فى ذلك الذى قاله براجشتراسر ، وهو يغفل فى كلامه التطور اللغوى وتأثير الشعوب المختلفة التى غزتها العربية بعاداتها القديمة فى النبر وأثر ذلك فى اختلاف موضعه من الكلمة " (٥)

أما اللغة العربية المعاصرة فقد وقف اللغويون على مواضع النبر فيها ، يقول د / إبراهيم أنيس : " أما كما ينطق بها القراء الآن فى مصر فلها قانون تخضع له ولا تكاد تشذ عنه " (٦) ، ثم ذكر د / أنيس مواضع النبر فى لغتنا العربية المعاصرة .

ومعلوم أن اللغويين القدامى لم يتعرضوا لدراسة النبر فى مؤلفاتهم ، ولم يكن هذا المصطلح بمعناه المتعارف عليه الآن معروفا لديهم ، وعلى الرغم من ذلك فقد لاحظ ابن جنى أثر الضغط فى

---

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢٥ ، العدد السادس .

(٢) مناهج البحث فى اللغة ص ١٦٠ .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية ص ١٧٢، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ١٠٣ .

(٤) التطور النحوى للغة العربية ص ٧٢ .

(٥) المدخل إلى علم اللغة ص ١٠٤ .

(٦) الأصوات اللغوية ص ١٧٢ .

تطويل حركة آخر الكلمة فى نحو : أكلت لحما شاة، يريد لحم شاة ، يقول د/ رمضان عبد التواب : " وعلى الرغم من أن قدامى اللغويين العرب لم يدرسوا النبر بمعنى الضغط على بعض مقاطع الكلام فإن بعضهم قد لاحظ أثره فى تطويل بعض حركات الكلمة ، ويسميه ابن جنى (مطل الحركات) فيقول ــ مثلاً ــ وحكى الفراء عنهم أكلت لحما شاة ، أراد: لحم شاة فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفاً " (١) .

ومن ذلك يتبين أن اللغويين القدامى وسيبويه منهم لم يتعرضوا لدراسة النبر بل لم يعرفوا ماهيته وحقيقته كما هو معروف لدينا الآن، وليس ذلك تقصيراً منهم، أو غفلة ، او نسياناً ، ولعل السبب وراء ذلك يرجع إلى أن النبر فى اللغة العربية ليس له الأثر الخطير الذى فى اللغات الأخرى ، حيث إن النبر فى اللغات الآخرى يغير نوع الكلمة من الاسمية إلى الفعلية أو العكس ، أما فى اللغة العربية فليس له هذا الأثر، حيث إن النبر لا يغير معانى الكلمات ، " وعدم تغير المعانى هذا هو الذى يفسر عدم تعرض الأئمة القدامى اللنبر ولا يتوجه عليهم بذلك اتهام تقصير أو غفلة ، جزاهم الله خيراً " (٢) .

وقد مال د / محمد الأنطاكى إلى أن هذه العلة هى التى كانت وراء عدم اهتمام القدامى بهذه الدراسة التى تتعلق بالنبر فقد قال : "ويظهر أن إغفالهم لهذا الجانب ناشىء عن عدم شعورهم بأى أثر للنبر فى تحديد معانى الكلمات العربية ، لذلك نجهل اليوم كل شىء عن النبر كما كان على شفاه العرب الأوائل "(٣) .

أما عن علاقة النبر بالوقف التى ذكرها شاده فإنها تتمثل فى أن النبر لا يكون على المقطع الأخير إلا فى حالة الوقف ، " ففى الوقف على (نستعين) فى قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ص ١٠٥ ، وينظر : الخصائص ٣ / ١٢٥ ، تحقيق / محمد على النجار ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م .

(٢) أصوات اللغة العربية د / محمد حسن جبل ص ٢٦٤ .

(٣) دراسات فى فقه اللغة ص ٢٠٧ .

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (١) ، أو على (المستقر) ، فى قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ (٢) نجد النبر على المقطعين (عين) ، و (قر) " (٣) .

والمثال الذى ذكره شاده وهو (مأمنك) بكسرة مختلسة ، و (مأمنيك) بياء مشبعة استدل به على أن سيبويه لم يكن يعرف النبر أو أثره فى الكلمة ، يقول شاده عن سيبويه بأنه : " لو كان يعرف النبر لوصل فى تأصيل الفرق بين لفظين يحكيهما لكلمة واحدة ، مثل (مأمنك) بكسرة مختلسة للنون ، و (مأمنيك) بكسرة مشبعة ، إلى غير ما وصل إليه " (٤)

يريد شاده أن سيبويه لو كان يعرف النبر وأثره فى الكلمة لعلم أن المتكلم حين يضغط أو ينبر المقطع الذى قبل الأخير فى (مأمنك) وهو يتكون من : صامت + صوت لين قصير لا يضيف ياء إنما يضغط على هذا المقطع أكثر من غيره من المقاطع ، فالوضوح الذى فى النون لأجل الضغط أو النبر وليس لأجل الإشباع .

أقول : تناول سيبويه إشباع حركة الجر والرفع ، أو الكسرة والضمة فى باب عنوانه : " هذا باب الإشباع فى الجر والرفع وغير الإشباع والحركة كما هى " ففى هذا الباب قال : " فأما الذين يشبعون فيمططون ، وعلامتها واو وياء ، وهذا تحكمه لك المشافهة ، وذلك قولك : يضربها ، ومن مأمنك " (٥)

ومن الواضح أن ما يقصده سيبويه هو المعنى نفسه الذى يريده شاده ، فيكون الإشباع ــ هنا ــ ناتج عن الضغط أو النبر ، والذى يدل على أن الإشباع قد يكون ناتجا عن أثر الضغط أو النبر هو أن المحدثين من علماء جعلوا مطل حركة الميم فى نحو : لحما شاة ناتجا عن أثر النبر أو الضغط ، وقد سبق بيان ذلك .

---

(١) الفاتحة الآية / ٥ .

(٢) القيامة الآية / ١٢ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ١٧٢ .

(٤) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص ٢٦ ، العدد السادس .

(٥) الكتاب ٤/ ٢٠٢ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد :

فمن كرم الله تعالى وفضله أن منَّ علىَّ بإتمام هذه الدراسة التى صحبت فيها آراء إمام العربية سيبويه فى مجال علم الأصوات ، كما أفدت كثيراً من تعليقات شاده على كلامه ، وقد حاول شاده فى هذه المحاضرة الربط بين الدراسة الصوتية القديمة والحديثة ، وهذا الربط يؤدى إلى اكتمال حلقة هذا العلم من علوم اللغة العربية ، وهو علم يخدم فى المقام الأول الدراسة الصوتية التى تتعلق بالقرآن الكريم ، كما يخدم المجالات الأخرى للدراسات اللغوية .

وقد ءاتت هذه الدراسة ثمارها التى تتلخص فى النتائج الآتية :

أولاً : سبق اللغويون العرب الغربيين فى وضع أسس وقواعد الدراسة الصوتية ، يتجلى ذلك فى البحوث الصوتية التى وضعها الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ، وهما من علماء القرن الثانى الهجرى ، والتى اعترف المحدثون من علماء اللغة بدقتها وعمقها، على حين أن الغربيين لم يتوصلوا إلى نتائج ذات قيمة فى مجال الدراسة الصوتية إلا من مائتى عام تقريبا ، وهذا السبق لعلماء اللغة العرب جعل المستشرقين يحرصون على معرفة النتائج التى توصلوا إليها ، ومن هؤلاء شاده الذى اعترف لسيبويه بالابتكار والتجديد،وللعرب بالسبق والريادة فى هذا المجال ، وهذا الجانب من جوانب التفوق يحفز الهمم على الثقة بالنفس فى القدرة على الإضافة والتجديد فى مجالات العلوم المختلفة ، خاصة فى زماننا هذا الذى تراجعت فيه المكانة العلمية للشعوب العربية أمام التقدم العلمى عند سائر الشعوب

ثانياً : عرفنا من هذه الدراسة أن شاده أخذ على سيبويه بعض المآخذ فى مجال الدراسة الصوتية ، ومن هذه المآخذ أنه رأى أن سيبويه لم يكن دقيقاً فى استعمال بعض المصطلحات الصوتية ، مثل استعماله مصطلح الحرف فى الموضع الذى كان ينبغى أن يستعمل فيه مصطلح الصوت ، ومثل استعماله مصطلح مخرج الحرف فى الموضع الذى كان ينبغى أن يستعمل فيه مصطلح

موضع الحرف ، ومثل استعماله الصوت فى الموضع الذى كان ينبغى أن يستعمل فيه مصطلح النفس ، وقد نبه شاده بذلك على قصور فى المصطلح الذى استعمله سيبويه ، وحاول تفادى هذا القصور، وأرشد إلى المصطلح الذى ينبغى أن يستعمل ، ولكن على الرغم مما أخذ على مصطلحات سيبويه فإن شيوعها فى الدراسات الصوتية يحول دون استبدالها أو تغييرها ؛ لأن تغييرها يجعل فهم الدراسات الصوتية القديمة أمراً صعباً على الأجيال اللاحقة ، وبمرور الزمن يصبح المصطلح القديم عسير الفهم صعب الإدراك ، وهذا مالا نقبله أو نرضاه .

ثالثاً: لا شك أن شاده بذل جهدا كبيرا فى دراسة المجال الصوتى عند سيبويه ، ولكنه لم يكن عميق الفهم لكلام سيبويه فى بعض المواضع ، مما أدى إلى أنه توهم أن سيبويه قد غفل أو سها عن إدراك أثر بعض أعضاء النطق فى إنتاج الأصوات ، ومن ذلك أنه توهم أن سيبويه لم يكن يعرف الحنجرة ولا أجزاءها ، ولكن من يطالع كلام سيبويه بعمق وأناة يجد أنه أشار إليها بأنها " أقصى الحلق " ، كما أشار إلى ذبذبة الأوتار الصوتية بأنها صوت الصدر، فاختلاف التسمية أوهمت شاده أن سيبويه لم يكن على علم بها،نعم خفى على سيبويه معرفة الوترين الصوتيين ، وعدم معرفة سيبويه بهما لا يرجع إلى سهو أو تقصير ، وإنما لأن اكتشافهما جاء بعد عصر سيبويه بزمن بعيد .

رابعاً: إذا كان طلب الحقيقة والوصول إلى الصواب هو الشغل الشاغل للباحثين والدارسين فلا بد من الاعتراف بأن القدامى من اللغويين العرب قد جانبهم التوفيق فى بعض المواضع التى لا تقلل من قيمة النتائج التى توصلوا إليها ، ولا تنقص من جهودهم فى خدمة هذه اللغة الشريفة ، ومن ذلك أنهم وصفوا الهمزة بأنها صوت مجهور ، على حين أن المحدثين من علماء اللغة يرون أنها ليست مجهورة ، فهى إما مهموسة ، وإما ليست مجهورة ولا مهموسة ، وإذا كانت التجارب أثبتت صحة ذلك فلا مفر من الاعتراف بهذه الحقيقة ، ومن ذلك ــ أيضا ــ أن القدامى رأوا أن أصوات المد الثلاثة الألف والياء والواو ساكنة ، والمحدثون يرون أنها حركات طويلة . فيمكن التسليم برأى المحدثين ما دام الهدف هو الوصول إلى الوجه الصواب .

خامساً: إن عدم معرفة سيبويه لأثر المقطع الصوتى فى تأثير الأصوات بعضها فى بعض ليس ناتجا عن سهو أو غفلة أو تقصير، وإنما لأن اللغة العربية لغة غير مقطعية ، بمعنى أن المقاطع لا تؤثر

فيها على المعانى ، ولا تغير فى الدلالة ، واهتمام الغربيين بهذا النوع من الدراسة يرجع إلى أن المقطع قد يؤثر فى اختلاف المعنى فى لغاتهم ، وقد حاول المحدثون تطبيق هذه الدراسة على اللغة العربية .

وفى الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فى كل ما تناولت ، وأن ينفع به من أخلص النية فى طلب العلم وحب المعرفة ، راجياً من القارىء الكريم أن يتجاوز عن عثرتى ، وأن يغفر لى زلتى ، ورحم الله الإمام الشاطبى حين قال:

و إن كان خرْق فادَّركه بفضلة ... من الحلم ولْيصْلِحْه من جاد مقْوَلا

وصلى الله تبارك وتعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم ، جل من أنزله .

٢ــ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ، د / عبد الصبور شاهين، ط / مكتبة الخانجى بمصر سنة ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م.

٣ــ أسس علم اللغة لمريوباى ، ترجمة د / أحمد مختار عمر ، ط / عالم الكتب سنة ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .

٤- الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، د/ محمود فهمى حجازى ، ط/ مكتبة غريب .

٥ــ أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين د / أحمد محمد قدور ، ط / دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .

٦ــ أصوات اللغة د/ عبد الرحمن أيوب، ط /مطبعة الكيلانى سنة ١٩٦٨ م

٧ــ أصوات اللغة العربية ، د / عبد الغفار حامد هلال ، ط / مكتبة وهبة سنة١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .

٨ــ أصوات اللغة العربية دراسة نظرية تطبيقية ، د / محمد حسن جبل ، ط / ثالثة من دون تاريخ .

٩ــ الأصوات اللغوية ، د / إبراهيم أنيس ، ط / مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٩٥م .

١٠- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ، ترجمة د/ عبد الحليم النجار ، ط دار المعارف بمصر .

١١ــ التجويد القرآنى دراسة صوتية فيزيائية ، د / محمد صالح الضالع ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة

١٢ــ التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ، د / رمضان عبد التواب ، ط / مكتبة الخانجى سنة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .

١٣ــ التطور النحوى اللغة العربية للمستشرق الألمانى براجشتراسر ، ترجمة د / رمضان عبد التواب ، ط / مكتبة الخانجى بالقاهرة .

١٤ــ التعريفات لعلى بن محمد الجرجانى ، تحقيق / عبد الرحمن عميرة ، ط / عالم الكتب ، سنة ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م .

١٥- التفكير اللغوى بين القديم والجديد ، د / كمال بشر ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ٢٠٠٥م .

١٦ــ تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى ، تحقيق / رياض زكى قاسم، ط / دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان سنة ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١م.

١٧ــ الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق / محمد على النجار ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

١٨- دراسات صوتية د/ تغريد السيد عنبر ، ط/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨٠ م

١٩ــ دراسات فى علم اللغة د / كمال بشر ، ط / دار غريب للطباعة سنة ١٩٨٨ م .

٢٠ــ دراسات فى فقه اللغة ، د / محمد الأنطاكى ، ط / دار الشرق العربى سنة ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م .

٢١ - دراسة الصوت اللغوى د/ أحمد مختار عمر ط/ عالم الكتب سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

٢٢ــ دور الكلمة فى اللغة ، تأليف / ستيفن أولمان ، ترجمة د / كمال بشر ، ط / دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٩٧ م .

٢٣ــ ديوان أبي النجم العجلي ، تحقيق / سجيع جميل الجبيلي ط / دار صادر ــ بيروت سنة ١٩٩٨ م .

٢٤ــ ديوان العجاج ، تحقيق / سعدى ضناوى ، ط / دار صادر ــ بيروت سنة ١٩٩٧ م .

٢٥- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكى بن أبي طالب القيسى – تحقيق د/ أحمد حسن فرحات ط/ دار عمار سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٦ــ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق د / حسن هنداوى، ط / دار القلم بدمشق سنة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥ م

٢٧ــ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، شرح الشيخ / عبد المتعال الصعيدى ط / مكتبة محمد على صبيح سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩ م.

٢٨-شرح المفصل لابن يعيش – ط/ عالم الكتب .

٢٩ــ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة معلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوى اليمنى ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان سنة ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

٣٠ــ ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها فى نمو المعجم العربى ، د / أحمد عبد المجيد هريدى ، ط / مكتبة الزهراء .

٣١ــ علم الأصوات د / كمال بشر ، ط / دارغريب للطباعة والنشر و التوزيع سنة ٢٠٠٠ م

٣٢-علم الأصوات ، تأليف / برتيل مالمبرج ، تعريب ودراسة د / عبد الصبور شاهين ، ط/ مكتبة الشباب ١٩٨٥م .

٣٣ــ علم الأصوات عند سيبويه وعندنا محاضرة للمستشرق الألماني أرتور شاده نشرت فى صحيفة الجامعة المصرية فى العددين الخامس والسادس سنة ١٩٣١ م .

٣٤ــ علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ، د / محمود السعران ، ط / دار الفكر العربى .

٣٥ــ العين للخليل بن أحمد الفراهيدى ، تحقيق / مهدى المخزومى ، و د / إبراهيم السامرائى ، ط / دار الرشيد للنشر ١٩٨٠م .

٣٦- الفصحى ولهجاتها دراسة تاريخية مقارنة د/ عبد الفتاح البركاوى ، سنة ١٩٨٢م .

٣٧ــ فى علم اللغة العام ، د / عبد الصبور شاهين ، ط / مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٨ هـــ ــ ١٩٨٨ م .

٣٨- فى اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس ، ط/ الأنجلو المصرية سنة ١٩٩٥م .

٣٩ــ الكتاب لأبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، ط / مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

٤٠ــ لسان العرب لابن منظور ، ط / دار المعارف ــ بيروت .

٤١ــ اللغة لجوزيف فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلى و محمد القصاص ط /مطبعة لجنة البيان العربى سنة ١٩٥٠م .

٤٢ــ اللغة بين المعيارية والوصفية ، د / تمام حسان ، ط / عالم الكتب سنة ١٤٢١ هـــ ــ ٢٠٠١ م .

٤٣ – لغة تميم دراسة تاريخية وصفية د/ ضاحى عبد الباقى ، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٤٤ــ اللغة العربية معناها ومبناها ، د / تمام حسان ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م .

٤٥- لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر د/ عيد محمد الطيب ، ط/ المطبعة الإسلامية الحديثة سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٤٦ــ اللهجات العربية نشأة وتطورا د / عبد الغفار هلال ، ط / دار الفكر العربى سنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

٤٧- المخصص لابن سيده ، ط/ المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت

٤٨ــ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ، د / رمضان عبد التــواب ، ط / مكتبــة الخانجى بالقاهرة سنة ١٤٠٣هـــ ــ ١٩٨٢م

٤٩ــ مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والظاء ، د / رمضان عبد التواب ط/ مجلــة المجمــع العلمى العراقى (المجلد الحادى والعشرون) – بغداد ١٩٧١م .

٥٠- معجم مقيدات ابن خلكان د / عبد السلام محمد هــارون ط / مكتبــة الخــانجى بمــصر ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م .

٥١ــ المعجم الوجيز ، ط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٥٢- مقدمة فى أصوات اللغة العربية د/ عبد الفتاح البركاوى .

٥٣ــ مناهج البحث فى اللغة د / تمام حسان ، ط / مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٩٠ م .

٥٤-النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ، راجعه / على محمد الضباع ط / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٥٥ــ نهاية القول المفيد فى علم التجويد للشيخ / محمد مكى نصر ، ط/ مصطفى البابى الحلــبى ، سنة ١٣٤٩ .